الرسالة رقم ١٨١

دراسة مرجعية للعلاقات المصرية السورية في الألف الثاني قبل الميلاد

أ. د. حسن محمد محيي الدين السعدي

قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

جمهورية مصر العربية

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الثانية والعشرون ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

المؤلف:

أ. د. حسن محمد محيي الدين السعدي

- دكتوراه من جامعة الإسكندرية بالاشتراك مع جامعة ليفر بول بإنجلترا ١٩٨٩ .
- أستاذ في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم - قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية .
- عضو في عدد من الجمعيات العلمية الدولية والمحلية مثل الجمعية الدولية للاستكشافات الأثرية بلندن ، واتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة واتحاد الأثريين العرب ، الجمعية الأسبانية للدراسات المصرية والجمعية الأثرية بالإسكندرية .

الإنتاج العلمي:-

أولاً : الكتب

١ - حكام الأقاليم في مصر الفرعونية ، دار المعرفة الجماعية ، الأسكندرية ١٩٩١ .

٢ - المعالم الرئيسية لتاريخ مصر الفرعونية ، دار المعرفة الجماعية ، الأسكندرية ، ط٣ ، ٢٠٠٢ .

٣ - في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، «العراق - إيران - آسيا الصغرى» ، دار المعرفة الجماعية ، الأسكندرية ، ط٤ ، ٢٠٠٢ .

ثانياً : البحوث

١ - الوعي بالتاريخ وأثره في مستقبل الإنسان العربي ، ندوة في قسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة الأسكندرية ١٩٩٢ .

٢ - غزة وأريحا في الألفين الأول والثاني قبل الميلاد : عرض في مستقبل الماضي ، مؤتمر التبادل الحضاري لحضارات البحر المتوسط - بجامعة الأسكندرية ١٩٩٤ .

٣ - بعض المفاهيم عن السلطة الملكية وارتباطها بالعقيدة في مصر الفرعونية ، المجلة العربية للعلوم الانسانية - جامعة الكويت ١٩٩٩ .

٤ - الزواج السياسي عند حكام العراق القديم ، مجلة الجمعية الأثرية ، الأسكندرية ، العدد التاسع ١٩٩٨ - ١٩٩٩ .

٥ - أضواء على مخطوطات البحر الميت ، مجلة الفيصل ، السعودية (مقبول للنشر) .

المحتوى

ملخص

تهدف الدراسة لإلقاء الضوء على العلاقة بين منطقتين هامتين في الشرق الأدنى : مصر وسوريا بالرغم من أن العلاقة بين البلدين كانت موجودة قبل العصر الملكي إلا أن الألف الثانية قبل الميلاد ذات أهمية خاصة في هذا المجال ، تلقي مقدمة هذا البحث الضوء باختصار على أرضية هذه العلاقة مع تعريف للشعب السوري بالإضافة إلى الإشارة إلى بعض الدراسات المتعددة في هذا المجال . ينقسم الموضوع الأساسي إلى فصلين رئيسين . يعالج القسم الأول من الفصل الأول العلاقات الدبلوماسية والعسكرية بين مصر وسورية من صعود المملكة الوسطى إلى طرد الهكسوس . ومن ثم من ابتداء المملكة الجديدة إلى نهاية الألفية الثانية ، كما يتقسم الفصل الثاني إلى قسمين رئيسيين يعالج القسم الأول العلاقات الثقافية المصرية السورية على المستوى الاقتصادي ، على حين يتناول القسم الثاني التأثيرات الثقافية المتعددة بين المنطقتين من النواحي الدينية والاجتماعية والفنية والعمرانية بالإضافة إلى اللغة والأدب .

تقديم

تمثل الدراسة التي بين أيدينا بحثاً مرجعياً في «العلاقات بين مصر وسوريا في الألف الثاني قبل الميلاد» . ومن هذا المنطلق فإنها تحوي بين دفتيها بعداً خاصاً وآخر عاماً . أما البعد الأول فيتمثل في التحديد المكاني والزماني للموضوع ذاته والذي يمثل برمته أحد أسس البنية الرئيسية لتاريخ مصر السياسي والحضاري . وهو أساس اكتسب قيمته أيضاً من الدور الذي لعبه الإقليم السوري في تاريخ الشرق الأدنى القديم بعامة ، وفي التاريخ المصري على وجه الخصوص .

أما البعد العام فينبع من طبيعة الدراسة المرجعية التي تنزع لشمولية الرؤية دون الإغراق في التفصيلات . إذ تكفلت بهذه الأخيرة - قدر ما وسعنا من طاقة- إشارات ما بين السطور ومراجعها الأساسية ، لا سيما الحديثة منها .

وعلى الرغم من إمكانية تناول الموضوع من أكثر من زاوية وفقا لرؤية الباحث لمنهجه ، فإن البحث الذي بين أيدينا يعتمد على المنهج الموضوعي المنتظم في إطار زمني . إذ يشمل أول أجزائه المقدمة التي تتناول التحديد الزماني للموضوع في ضوء التقسيمات العلمية للعصور التاريخية . ثم التحديد المكاني للإقليم السوري بمسمياته المختلفة ، ثم العرض التاريخي للعلاقات بين مصر وسوريا منذ أقدم العصور حتى بداية الألف الثاني قبل الميلاد .

في حين يعد الجزءان الثاني والثالث المحور الأساسي للدراسة ، إذ يمثل أولهما المبحث الأول الذي يتناول العلاقات السياسية والعسكرية في الألف الثاني قبل الميلاد . وهي علاقة تنوعت بين السلم والحرب وتأثرت - دون شك - بطبيعة الظروف الدولية للمنطقة والأوضاع الداخلية لكافة القوى فيها .

أما الجزء الثالث فيخص المبحث الثاني ؛ إذ يتم إلقاء الضوء فيه أولاً على

العلاقات الاقتصادية بين مصر ومناطق الإقليم السوري التي مثلت التجارة ركنها الأساسي . ثم ثانياً رصد لبعض مظاهر التأثير الحضاري المتبادل بين مصر وسوريا .

في حين تناولت بقية الأجزاء تباعاً خاتمة البحث بما تضمنته من رؤية مجملة للعرض ، ثم الأشكال والخرائط كعامل مساعد لا غنى عنه في توضيح بعض جوانب البحث . وأخيراً مراجع البحث باللغتين العربية و الأجنبية والتي توخى فيها الباحث - قدر المستطاع - الحداثة و تغطية جل جوانب الموضوع .

وتجدر الإشارة إلى أن عدم التوازن - فيما نعلم - بين المصادر المتاحة في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد مقارنة بمثيلتها في النصف الثاني منه ، إنما يشكل أحد أهم المعوقات التي قد تعتور البحث . كما مثل الأسلوب الذي يمكن اتباعه في توثيق الحواشي صعوبة في المفاضلة بين «أسلوب فانكوفر» العتيق ، و«أسلوب هارفارد» الذي يبعد أحياناً عن روح العلوم الإنسانية مقارنة بـ«أسلوب أكسفورد» الذي فضّل الباحث الأخذ به بشيء من التصرف يتفق ومقتضيات البحث .

ومن الأهمية بمكان الإشارة في هذا الصدد إلى أن الاهتمام البالغ للمؤسسات العلمية الأجنبية بقضايا التاريخ اليهودي ، ومحاولة تأصيل بعضها ودعمها أثرياً - بالحق أو بدونه - فيما يُعرف بدراسات أرض الكتاب المقدس (أو الدراسات التوارتية) The Biblical Studies ، إنما تلقي على الباحثين المعنيين بالأمر في مضمار الدراسات القديمة مسؤولية تاريخية . وذلك بتوجيه الجهد الآثاري توجيهاً موضوعياً بالتوسع في استكشاف مناطق الاهتمام المشترك وتوظيف العائد منها في ضوء عالمية العلم التي تسمو فوق المنظور العقيدي

والقومي بمفهومه الضيق . ومما يؤكد على الدو التاريخي والحضاري لشعوب هذه المنطقة التي كان لمصر وسوريا الكبرى - مع حضارة الرافدين - أهم إسهاماتها قاطبة .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل في هذه الدراسة ما يُوفي الغرض منها في رصد أهم معالم العلاقات المصرية السورية في الألف الثاني قبل الميلاد ، وأن تحقق بإذنه تعالى هدفها المأمول .

مقدمة البحث

يمثل التحديد الزماني والمكاني للموضوع مناط البحث الإطار الرئيسي الذي تنتظم فيه عناصر البحث . كما أن التعامل مع المسميات العديدة التي أطلقت على بعض مناطق الإقليم السوري سوف يسهل كثيراً التحديد المكاني له . في حين تجعل الخلفية التاريخية للموضوع بمكنتنا تمثل عناصر الاستمرارية والتغير فيه .

وبالنسبة للتحديد الزماني فيمكن القول أن التقسيمات الخاصة بالعصور التاريخية إنما تجعل الألف الثاني قبل الميلاد يغطي عصري البرونز الأوسط MBA (≠٢٠٠٠-١٠٠٠ق .م) و المتأخر (≠ ١٥٠٠ - ١٢٠٠ ق .م .) بتقسيماتهما المختلفة ، فضلا عن القرنين الأولين من القسم الأول من عصر الحديد Iron Age I (≠ ١٢٠٠ - ٩٠٠ ق .م .)(١) . وهي الفترة الممتدة من الدولة الوسطى حتى الأسرة الحادية والعشرين ، وتحديداً من أخريات عهد منتوحتب الثاني (≠٢٠٤٣-١٩٩٢ ق .م .) إلى مثيلتها من عهد بسوسينيس الأول (≠١٠٤٠-٩٩٢ق .م .)(٢) . وإن كانت مقتضيات البحث تلتزمنا بتناول الموضوع لفترة قبل وبعد الإطار الزمني الخاص بالألف الثاني قبل الميلاد .

وفيما يتعلق بمسميات «سوريا» Syia ؛ فعلى الرغم من أن هيرودوت كان أول من استخدمها(٣) ، إلا أن بعض الدراسات الحديثة ترجعها إلى عدة تخريجات لغوية تقوم على أسس إثنية (عرقية) أو جغرافية . مثل الانتساب لشعب السوبارو القاطن لمنطقة ميتاني أو لمدينة صور أو حتى أشور ، بحكم انضواء سوريا لفترة ضمن النفوذ الآشوري . أو الانتساب لمنطقة شورى بإقليم نوزى بشمال الرافدين . وإن كان كلا التخريجين الأخيرين لا يحظيان بقبول معظم الباحثين(٤) .

أما في مصر فقد حظي السوريون بعدة تسميات كانت كثيراً ما تجمع بينهم

وبين المنطقة التي يعيشون فيها من قبل إطلاق الجزء على الكل ، كما كان يحدث العكس أحياناً . ومن ثم فقد أطلق على السوري منذ الدولة القديمة مسمى «عام» (عامو) (w) ᶜ3m سواء كان سيداً أم عبداً ، وهي كلمة كانت تعني بوجه عام كنعاني التي أتى منها معنى أجنبي من الشمال[٥] . كما عرفوا أيضاً منذ الألف الثالث قبل الميلاد ويحكم الملاحظة الشخصية باسم «أصحاب الأردية المعقودة» وذلك لعقدهم الرداء على الكتف والمرادف لمسمى البدو الأسيويين Styw المعروف من الأسرة الحادية عشرة ، فضلا عن مسمى «أصحاب الأشرطة» إشارة للشريط fnh الذي كانوا يربطون به شعورهم ، والتي ربما تعد أصلا لمسمى فنخو fnhw الذي أطلق عليهم أيضاً ضمن الشعوب المجاورة لمصر شرقاً والمشار لها باسم T3w fnhw ، الذي كان يشير كذلك منذ الدولة القديمة إلى بلاد وشعوب سوريا وفلسطين معا[٦] .

وقد أضيف في الدولة الوسطى كذلك مسمى بلاد رتنو Rtnw ليشمل سوريا وفلسطين معاً ، وإن كان التحديد يتم برتنو العليا Rtnw hr ورتنو السفلى Rtnw hr[٧] ، في حين ظهر منذ الدولة الحديثة مسمى «خارو» H3rw (i) (أو Hrw ، Hr) للدلالة على سوريا وساكنيها فضلا عن البحر المتوسط «بحر خارو العظيم» p3 ym c3 n H3rw . وإن أصبح المسمى يشير في القبطية البحيرية إلى كل من البحر الأحمر والبحر السوري[٨] . فيما يراه البعض تخريجا مصريا من اسم إقليم خوري بشمال غرب سوريا[٩] .

كذلك فقد كانت هناك مسميات عامة تطلق على الإقليم السوري وسكانه مثل «الشرق» و«الشرقيون (سكان الشرق)» ؛ (i3bt «t») ، (i3btyw)[١٠] ، وإن اختص النيل الأسيوي بمسمى «mryn» خلال عصر الدولة الحديثة ، والذي أصبح لقباً للسوريين منذ الأسرة العشرين[١١] . وهناك أيضا مسمى «البدو» mntw أو «بدو آسيا (سكان شمال شرق مصر منذ العصر المتأخر)» ، فضلا عن «ساكني الرمال»

(البدو) hryw-sy . [١٢] إلى جانب بعض المسميات الوصفية المجازية مثل «أرض العسل واللبن» و«أرض قاطعي الأخشاب»[١٣] ، وغيرها مما يمكن الإشارة إليه في معرض البحث .

وفي المجمل فإن هذه المسميات إنما تنسحب جغرافياً على المنطقة الواقعة بين جبال طوروس شمالا وشبه جزيرة سيناء وخليج العقبة جنوبا ، وبين البحر المتوسط غربا ونهر الفرات وبادية الشام شرقا . فيما يعرف بالإقليم السوري أو سوريا الكبرى التي تمثل سوريا ولبنان والأردن وفلسطين كاملة[١٤] .

وتجدر الإشارة بداية إلى تناول العديد من الدراسات السابقة للموضوع ومن عدة زوايا منها العام ومنها الخاص . فعلى سبيل المثال لا الحصر ؛ نذكر كتابي فيليب حتي - رغم قدمهما - «تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (الجزء الأول)» و«تاريخ لبنان منذ أقدم العصور» ، وكذا كتاب عبدالحميد زايد «الشرق الخالد» . ومن الدراسات الأجنبية نذكر دراستي P.Monter الأولى بعنوان "L'Egypte et Syrie pendant le III et II millenaire" والأخرى أكثر تخصيصاً بعنوان "Byblos et L"Egypte" . هذا بالإضافة للدراسة الخاصة بهذا الموضوع عام ١٩٦٩ بعنوان "La Siria nel Tardo Bronzo" والتي توفر على تحرير مقالاتها Liverani .

أما عن الخلفية التاريخية للموضوع فمما لاشك فيه أن العلاقة بين مصر وسوريا تضرب بجذورها منذ عصري نقادة الثانية والثالثة وبينهما قرابة مئة عام حتى قبيل الأسرات فيما يُعرف اصطلاحاً بالأسرة (صفر) . حيث تم رصد سبعة مواقع جنوب كنعان (فلسطين) كانت عرضة للإعمار تارة وللهجر تارة أخرى بما يشير إلى تذبذب الوجود المصري هناك آنذاك[١٥] . وقد عثر فيها على آثار مصرية ربما تمثل أولى المظاهر المادية للتجارة هناك والتي ساعد عليها وجود الطريق التجاري الممتد من فلسطين عبر غزة وسيناء فالسويس متجها بحذاء الحد الشرقي للدلتا صوب منطقة القاهرة الكبرى الحالية . يضاف إليه ما كان لجبيل من دور

تجاري وحضاري استمر في التنامي منذ ما قبل الأسرات ، حتى أضحى أكبر مركز تجاري بالإقليم السوري كثيرا ما كان يحمل إليه المصريون منتجات النوبة إلى جانب متاجرهم . وأخيراً ما أسهمت به خمس تحركات بشرية رئيسية في الفترة الممتدة من نقادة الثانية حتى الأسرة السادسة(١٦) .

ولقد قدم Redford في دراسة له إحصاء يربو على الخمسين شاهداً من الدلائل الأثرية والفنية التي تعكس تلك العلاقة فيما قبل الأسرات ، مثل الأواني الفخارية بأنماطها المتميزة والأمشاط العاجية فضلا عن الأخشاب واللازورد(١٧) .

وعلى أية حال فيمكن في عجالة الإشارة إلى بعض هذه الشواهد ذات البعد السياسي مثل إنائي الخزف اللذين عثر عليهما بتل جات (الشيخ أحمد) في فلسطين وعليهما اسم نعرمر(١٨) . كما أن الإشارة التي حملتها لوحة نعرمر الشهيرة بهزيمة مجموعتين من البدو يرجح كونهما من بدو فلسطين والأردن ، إنما يعني وجود محاولة مصرية مبكرة لتأمين الطريق التجاري البري بحملة عسكرية محتملة بجنوب فلسطين . حيث ساعد هذا الطريق مع مثيله البحري على مضاعفة حجم التجارة من جبيل وتأمين الحصول على فيروز سيناء ، فضلا عن الأخشاب اللازمة لصناعة السفن ذات الطابع السوري التي كان يحصل عليها ملوك مصر منذ عصر التأسيس . وبما يفسر ظهور أسماً ملوك مصر في جبيل بعد ذلك ومع نهاية الأسرة الثانية بشكل ملحوظ(١٩) .

كما دللت الأختام الأسطوانية من الأسرة الثالثة التي عثر عليها في أنقاض معبد جبيل ، فضلا عن الرحلة الشهيرة على عهد سنفرو لجلب حمولة أربعين سفينة من الأخشاب المتازة من هناك لبناء سفنه ، كما عثر على بعضها بهرمه الجنوبي في دهشور وكذا تلك الخاصة بمركب خوفو بالجيزة(٢٠) . في حين عثر لخلفه خفرع بالقصر الملكي بإبلا على أواني تحمل اسمه وأخرى لببي الأول من الأسرة السادسة ، بما يحمل على الاعتقاد بوجود علاقات بين البلاطين الحاكمين وبوساطة جبيل(٢١) .

ومن الإشارات لحملات عسكرية ؛ فهناك غالباً ما سجله ساحورع بمعبده في أبي صير عن حملة آسيوية عادت بالأسلاب والغنائم ، وكذا المنظر بمقبرة إنتي بدشاشة من ذات الفترة والذي يشير لهجوم على مدينة كنعانية دون تحديد لها . في حين تمثل حملات وني من عهد ببي الأول بشقيها البري والبحري أكثر الإجراءات الوقائية كثافة وأبعدها مسافة ، ضد الضغط الآسيوي على الحدود بحيث وصلت عند جبل الكرمل بشمال فلسطين(٢٢) .

وعلى الرغم من صعوبة توصيف مثل تلك الحملات على أنها ذات توجه توسعي ، إلا أن العلاقة بين مصر وسوريا في هذه المرحلة يمكن تصورها من خلال إطارين . الأول هو الإطار النظري الذي يجعل من سوريا كغيرها من البلاد الأجنبية خاضعة للسيادة المصرية ضمن الأقواس التسعة التقليدية . أما الثاني فهو الإطار الفعلي الذي يشير إلى نوع من العلاقات قوامه تبادل السلع وداً أو حتى قسراً دون ما حاجة لجيش نظامي يملي رغبة الفرعون ، فقد كان يكفي ظهور المتطوعة من أبناء مصر في حملات العمل السينائية وفي المهام التجارية التبادلية مع سوريا عبر الحدود الشرقية . ومن ثم لم تكن هناك مدعاة حتى لبناء نقاط عسكرية جنوبي سوريا اكتفاءً بتأمين الحدود الشرقية ، بما يميز بوضوح طبيعة العلاقة المصرية السورية إبان الدولة القديمة عن مثيلتها في الدولتين الوسطى والحديثة(٢٣) .

أما عن الواقع السياسي للإقليم السوري قبل الألف الثاني قبل الميلاد . فقد أحيط بمدنيتين كبيرتين ؛ السومرية شرقاً والمصرية جنوباً . كما غلب عليه العنصر السامي الأموري من قبائل المارتو الرعوية ، التي استوطنت غربا وتحديدا بين جبيل جنوباً وأرواد شمالاً(٢٤) . حيث تعودوا حياة المدنية ليؤسسوا ممالك في الجزء الغربي من الإقليم السوري مثل ماري ويمحاض وقطنة في أخريات عصر البرونز المتأخر . تاركين لأقرانهم الكنعانيين ، الذين سبقوهم غالباً إلى المنطقة ، الاستيطان بأرض كنعان على الساحل الشرقي للبحر المتوسط من الإسكندرية

شمالا حتى فلسطين جنوباً . حيث يترجح استيطانهم ما بين ٣٢٠٠-٢٩٠٠ ق .م ، ليتلوهم الأموريون في حوالي نهاية الألف الثالث . وإن قبل التزامن بينهما لفترة كبيرة ، فضلا عن شيوع استخدام مسمى «كنعان» بشكل مطلق على الإقليم السوري[٢٥] .

وعلى أية حال ، فبالقرب من نهاية الدولة القديمة المصرية بدأ ضغط العناصر الآسيوية (الفنخو؟) على الحدود الشرقية والتي لم تعد تأمينات الحدد الشرقية كفيلة بردعهم . حتى إذا ما انهارت السلطة المركزية ؛ أضحى الطريق أمامهم ميسرا لاختراق حدود الدلتا[٢٦] . بمعنى أن ما حدث في مصر من اضطراب سياسي لم يكن شأناً داخليا ، بل كان يرقبه عن كثب جيرانها على حدودها الشرقية في إشارة بالغة الدلالة لانعكاس تلك الأحداث على العلاقة .

بيد أن عزو الانهيار السياسي لهذا الغزو الآسيوي لا يمكن قبوله ، إذ يعطي أصحابه حجما أكبر من دورهم . حيث لم تتعد طموحاتهم أكثر من الإقامة بأرض خصبة تكفل لهم رغد العيش وطول المقام في ظل حكومة رخوة أو فوضى مركزية[٢٧] . إذ ساعدهم ضعف التحصينات على الحدود الشرقية على التسلل ، ومن ثم فلا عجب إذا ما أصبح تنبؤ نفرتي بإعادة بناء «سور الحاكم» مطمحاً لصد إغاراتهم . إذ كانت نظرة المصري للأسيوي كما تعكسها نصائح خيتي لابنه تؤكد ضعف مقدرته القتالية في المواجهة وميله الدائم للإغارة بحكم طبيعته الارتحالية ، بما يجعله يرهب الحصون والتجمعات العمرانية[٢٨] .

وهكذا ففي الوقت الذي استمر فيه تدفق الآسيويين كغزاة أو كمرتزقة إبان الصراع الطيبي - الأهناسي خلال عصر الانتقال الأول ، كانت العلاقة التقليدية بين مصر وسوريا قد تجمدت كلياً حتى كاد ذكر حكام مصر في الإقليم السوري ينعدم قرابة ما يربو على القرنين ؛ أي من عهد ببي الثاني حتى عهد سنوسرت الأول . حقيقة أن خيتي الثالث الحاكم الأهناسي قد قام بجهد طيب للتخلص منهم وتحصين الحدود وبدأت بعض الواردات السورية في القدوم[٢٩] ، إلا أن

الصراع مع طيبة قد حال دون استكمال تلك الجهود . بل عادت الأمور سيرتها الأولى بتدفق بدو جنوب الإقليم السوري أمام ضعف التحصينات ، حتى دان الأمر لمنتوحتب الثاني بعد وفاة مريكارع ، آخر أشهر حكام إهناسيا ، بمدة قصيرة . وليصبح تعامله مع الأسيويين خلال حكمه الممتد لواحد وخمسين عاماً (≠٢٠٤٣ - ١٩٩٢ ق .م .) ، أحد أهم إنجازاته[٣٠] ومدخلاً طبيعياً لصلب الموضوع مناط البحث .

هوامش المقدمة

(١) Finkelestein, I., MWA 10 (1992), 133-142; Roaf, M., Cultural Atlas of Mesopotamia (1990), 8-9.

(٢) Kitchen, K. A., Acta Archaeologica (1998), 15-6; Idem., OIP (1998), 2-3,

(٣) Herodotus, The Histories, 11; 12.

(٤) Tvedtnes, J, A., JNES 40 (1981), 139-40; Cannuyer, C., JNES 44 (1985), 133-7; Frye, R., JNES 51 (1992), 281-5.

(٥) WB I,167; 19-21; 168; 1-2; Faulkner, CD, 38; Vandier, Manuel VI, 285.

(٦) Faulkner, CD, 253, 255, 98; Redford, D.B., JARCE 23 (1986), 125;Wb IV,

(٧) WB II, 260; 11-12; 460;11-14; Fauklner, CD, 154.

(٨) WB II, 232; 7-9, 12-3.

(٩) Tvedtnes, J. A., JNES 40 (1981), 40

(١٠) Faulkner, CD, 8; WB 1, 31;4.

(١١) WB II, 110;6.

(١٢) WB II, 92; 4-6; Faulkner, CD, 110, 175; WB III, 135; 12.

(١٣) لالويت ، ك : نصوص مقدسة من مصر القديمة ، ٣١٤-٣١٦ ؛
Green, M., Cde 58 (1983), 53

(١٤) أحمد أرحيم هبو : سورية ، ٩ .

(١٥) Giveon, R,. The Impact of Egypt on Canaan in the Middle Bronze Age, (1987), 13-9.

(١٦) توفيق سليمان : دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة : ٣٥١ - ٣٥٢ ؛
Culican, W., The First Merchant Ventures (1966), 15-6; Ward, W. A., JESHO 6 (1963); 43-57.

(١٧) Redford, D.B.m JARCE 23 (1986), table 1; 134-40.

(١٨) Culican, W., op. cit., 16; fig. 3.

(١٩) CAH^3 1/2, 235.

(٢٠) محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، ٣٠ - ٣١ ؛
BAR I § 146; Harden, D., The Phoenicians, (1963), 44.

(٢١) علي القيم : إمبراطورية إيلا ، ١٤٤ - ١٤٦ .

(٢٢) Ibid., 357 - 62 . : لمزيد من التفاصيل راجع أيضا – CAh^3 1/2, 183, 236-7;

(٢٣) Redford, D. B., JARCE 23 (1986), 133, 140 - 3.

(٢٤) Stieeglitz, R., JNES 50 (1991), 45.

(٢٥) أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ٦٥ - ٤٦٦ أحمد أرحيم هبو : سورية ، ١٠٤ - ١٠٥ ؛ وقارن : Millard, A. The Canaanites, 29 - 38; CAH^3 1/2, 234.

(٢٦) Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 63.

(٢٧) Vercoutter, J., Egypt in the Middle Kingdom (1967), 106, 111.

(٢٨) سليم حسن : الأدب المصري القديم ، ج ١ ، ٣٢٠ ، ٣٣٦ - ٣٣٨ ؛

Redford, D.B., op. cit., 68.

(٢٩) CAH^3 1/2, 532 - 3 .

(٣٠) حسن محمد محيي الدين السعدي : حكام الأقاليم حتى نهاية الدولة الوسطى ، ١٢٣-١٣٤

Stieglitz, R., JNES 50 (1991) 45.

[illegible]

Weinstein, J., The Canaanites, 29 - 38, CAH [illegible]

Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel [illegible]

Vandersleyen, C., Egypt in the Middle Kingdom [illegible]

[illegible]

Redford, D.B., op. cit., 68.

CAH, I/2, 532 - 3.

[illegible]

المبحث الأول
العلاقات السياسية والعسكرية

أولاً: من الدولة الوسطى حتى خروج الهكسوس

ثانياً: من الدولة الحديثة (≠ ١٥٥٠ - ١٠٧٠ق.م) حتى نهاية الألف الثاني ق.م.

- هوامش المبحث الأول.

أولاً: من الدولة الوسطى حتى خروج الهكسوس:

يغطي العلاقات المصرية السورية لهذه الفترة الممتدة خلال الفترتين IIa وIIb من عصر البرونز الأوسط ، عدد محدود من المصادر تتمثل بشكل رئيسي في نصوص اللعنة وقصة سنوهي فضلا عن المتفرقات من الأدلة الأثرية المتنوعة . وبالنسبة للمصدرين الأخيرين فلسوف يتم التعرض لمعظمها وفق المقتضى الزمني للأحداث . أما نصوص اللعنة فيمكن الوقوف منها على ما يوضح تطور الأوضاع السياسية للإقليم السوري بحكم اشتمال مجموعاتها على أقدم قوائم معروفة لمدن ومناطق وحكام فلسطين وجنوب سوريا . فالفارق الزمني بين المجموعة الأولى لتلك الفترة التي ترجع لحوالي عام ١٩٠٠ق .م . ومثيلتها الثانية لحوالي مئة عام ، إنما يعكس المد الحضري للمنطقة . يتضح ذلك من اشتمال المجموعة الأولى على عدد قليل من المدن مثل أورشليم وعسقلان ورحوب مقابل طغيان أسماء القبائل وزعمائها عليها . في حين شملت الثانية قوائم مطولة للمدن مثل عكا وميكال واكتشاف بوادي عكا عيون وحازور وكدش وشكيم وغيرها ، عدا حاكمي غزة ومجدو ربما لعدم مناصبة مصر العداء خلال فترة الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة(١) .

وعلى أية حال ، فإن انشغال الحكام السابقين لمنتوحتب الثاني في الأسرة الحادية عشرة عن التعامل مع الوجود الآسيوي المتزايد منذ نهاية الدولة القديمة يعد أمرا منطقيا في ضوء الظروف الداخلية . ومن-ثم فما إن استتب الأمر لمنتوحتب الثاني حتى كان الاهتمام بالحدود الشرقية على قمة أولويات سياسته الخارجية . وإن كان ذا طابع عسكري كرد فعل طبيعي وتأديبي إزاء ما قام به بدو بلاد جاهي (جنوبي فلسطين) ، مستهدفا من نجاحه تأمين طرق القوافل التجارية وكذا مجموعات العمل بمناجم سيناء . وقد تحقق له ما أراد بضربه مجموعات

البدو المتباينة بدلتا مصر وعلى حدودها الشرقية مثل العامو والستتيو والمنتيو بسيناء فضلا عن الرتنو[٢] .

وقد يكون في نجاحه في تأمين الطرق لأبعد من حدود مصر الشرقية وحتى فلسطين ، ما يحمل على الظن بوجود علاقات مصرية - سورية على عهده ، وتحديدا جبيل ، حيث يرى البعض أن العشرين سفينة التي استخدمها أمنمحات الأول فيما بعد استجلبت أخشابها وصنعت على عهد منتوحتب الثاني[٣] .

بيد أنه على الرغم مما حققه هذا الأخير من نجاحات حيال الآسيويين والتي تضمنها معبده بالدير البحري ، إلا أن ضعف الحكومة المركزية في العقدين اللذين أعقبا وفاته قد عجل بتكرار قيام القبائل الأسيوية بغاراتها على شرق الدلتا وفق تصوير نبوءة نفرتي - حسبما أشرنا سابقاً[٤] .

وهكذا وجد أمنمحات الأول أنه ينبغي عليه اتخاذ التدابير المتنوعة التي تكفل درء خطر أولئك البدو الآسيويين بعد طردهم ، فكان بناء حصن «أسوار الحاكم» شرق وادي الطميلات بمنزلة الركيزة الدفاعية الأساسية في سياسته الشرقية . أما بالنسبة للجانب الهجومي فلقد أشار أحد قواده ويدعى نسو - مونتو لحملة خاضها مع سيده ضد الآسيويين الذين دحرت حصونهم[٥] . على الرغم من عدم ذكر موقع الهجوم إلا أنه يغلب على الظن كونه ضد إحدى مدن جنوب فلسطين أو غرب الأردن ولأسباب ربما ترتبط بالسيادة التجارية التي بدأت إرهاصاتها بالمنطقة خلال تلك الفترة وإن أسفرت عن وجهها بعد حوالي نصف قرن[٦] .

أما بالنسبة لسنوسرت الأول ؛ فإن حملته التي استهدفت بدو غرب الدلتا وتداعياتها حتى تولّيه العرش ، قد خلفت لنا قصة سنوهي كمصدر هام للعلاقة بين مصر وجنوب سوريا[٧] . وهي علاقة سلمية في مجملها إذ لم تشر القصة ، بالرغم من مواقعها الآسيوية ، لأية حملة عسكرية مصرية هناك . وإن كنا لا نغفل

في المقابل تلك العمليات العسكرية التي ضمنها سنوسرت الأول معبده باللشت ومقابر حكام بني حسن من عهده مثل خنوم حتب الأول وولده نخت وكذا أمنمحات (أميني) . مما يدعم استمرارية الخضوع الآسيوي لمصر ، ويشير أيضاً لاختلاف طبيعة مهام الجيش المصري آنذاك عنها في الدولة الحديثة(٨) . أما شواهد تلك العلاقة السليمة في القصة فمن أهمها انتقال المندوبين الملكيين جيئة ورواحاً بين مصر وسوريا واستقبال سنوهي لهم ، وذلك للإشراف على الضياع الملكية التي كانت تحت إشراف سنوسرت الأول . بل واختيار سنوهي نفسه لمنطقة سورية كمنفى اختياري ، إذ لو كانت العلاقة عدائية لما ذهب هناك أصلا أو لأصبح أسيرا وليس ضيفا مكرما . وهو ما وضح جليا من أسلوب معاملة عامو - سينتشى شيخ الرنتو له(٩) .

والواقع فإن تغير الواقع السياسي في سوريا بقيام دويلات - المدن على أنقاض دولة أور منذ حوالي عام ١٩٠٠ق .م ، كان له دون شك انعكاسه على شكل العلاقة المصرية السورية . فقد بدأت هذه المدن تنزع للاستقلالية والسيادة ، إذ امتلكت يمحاض على عهد ياريم ليم أسطولا من خمسين سفينة سيطرت به على مقدرات الأمور . في حين ناوأته مدن قطنة وماري وألالاخ لحساب آشور . وفي حين اكتفت حازور بحكم موقعها في وادي الأردن الأعلى بالسيطرة على جنوب سوريا وشمال فلسطين ، مقيمة علاقات تجارية ضخمة مع ماري وبابل شرقا وأوجاريت شمالا فضلا عن المدن الإيجية غربا . حتى أضحت حسب الوصف التوارتي «زعمية كل هذه الممالك في الماضي ، (يوشع ١١ : ١٠)»(١٠) .

ولعل هذا الوضع يفسر تنوع العلاقة بين مصر والإقليم السوري وفقا لمقتضيات الأوضاع . ومن ثم ، فقد أرسل أمنمحات الثاني حملته العسكرية التي عادت مظفرة ومعها ١٥٥٤ أسيراً(١١) . في حين شهدت مصر في عهد خلفه سنوسرت الثاني مجيء الجماعة الآسيوية بقيادة إيب شا لإقليم بني حسن والمسجل بمقبرة حاكمه خنوم حتب الثاني(١٢) .

ذلك الحدث اختلف المؤرخون في تفسيره ، وإن كان المرجح كونها امتداداً للعمل في مناجم شمال سيناء ، والذي اتسع ليشمل العمل بالمنازل والمعابد . ولم تكن بحال من الأحوال قافلة تجارية لتوريد كحل العيون[١٣] . وهو ما يؤكده منظر وصول أخو حاكم رتنو ؛ خد-بد ، على حماره لسرابيط الخادم ، مثله مثل العديد من بني جلدته لما في استغلال سيناء من مصالح للطرفين . وهو أمر لم يكن ليأتي لولا وجود ذلك التوافق السياسي بين الطرفين[١٤] . والذي كان تأمين سيناء فيه يمثل الحد الأدنى لاستمرارية تلك العلاقة بين مصر والإقليم السوري ، لاسيما قسمه الجنوبي الذي مثل على المستوى الاستراتيجي منطقة عازلة بين مصر والقسم الشمالي في ظل المتغيرات السياسية السالف ذكرها[١٥] .

ومن ثم فإن يمكن في هذا الإطار فهم حملة سنوسرت الثالث التي تجاوزت حدود مصر الشرقية إلى منطقة سكمم (شكيم؟) غرب الأردن أو ربما لأبعد شمالا في البقاع وحتى مجدو ؛ إذ إن شكيم كانت تمثل مركزا لقيادة مجموعات القبائل والمدن المحيطة[١٦] . ومن ثم كانت الحملة تأمينية غير توسعية تستهدف في المقام الأول كسر أي تحالف محتمل بين المدن الفلسطينية وإشعار حكامها بقوة مصر[١٧] . فضلا عن الاهتمام الخاص بالخناعتة (قنتير) التي أصبحت على عهده مركزا إداريا للإشراف على العلاقات الشرقية بحكم كونها «مدخل الطريقين ؛ r-w3tu» المؤديين لسوريا . وهما طريق حورس في الشمال الشرقي ومنه لفلسطين ، والثاني صوب مناجم سيناء . ولتصبح على عهد خلفه أمنمحات الثالث قاعدة عسكرية للحدود الشرقية[١٨] .

كذلك لعبت التدابير الدبلوماسية المصرية - إلى جانب العسكرية - دورها في الحفاظ على العلاقة مع سوريا والتي تشهد عليها كمية الدلائل التي تستعصي على الحصر على المستوى الرسمي والشخصي في المدن السورية مثل بيسان وألالاخ ولكيش وشكيم وجازر وجبيل وقطنة وأوجاريت وغيرها[١٩] ، والتي شملت كذلك الدعاية الضخمة لقدرة الفراعين على دحر أعدائهم ممثلة في

نصوص اللعنة[٢٠] . فضلا عن إرسال المبعوثين الرسميين كجحوتي-حتب حاكم البرشا ونظيره سنوسرت عنخ لأوجاريت من قبل سنوسرت الثالث . وكثرة الهدايا المرسلة للحكام المحليين وعلى رأسهم حاكم جبيل أبي-شيمو الذي عثر على صولجانات ذهبية بمقبرته مهداة له من أمنمحات الثالث وخلفه ، رمزا للسيادة المصرية[٢١] .

ومما يؤكد فاعلية هذه السياسة ؛ استمراريتها خلال عصر الانتقال الثاني . فقد كان لنفر-حوتب الأول (١٧٤٩ - ١٧٣٨ ق .م) وخلفه سبك-حتب الرابع (١٧٣٨ - ١٧٣١ ق .م) علاقات مع جبيل التي لعبت دور الوسيط التجاري لمصر في سوريا حتى منطقة بعلبك (تل حزين ١١كم جنوبا) ، فضلا عن قائمة العبيد المحفوظة بمتحف بروكلين (رقم ٣٥-١٤٤٦) وتتضمن أكثر من أربعين اسما آسيويا جاؤوا للعمل بمصر إبان عهد هذه الأسرة[٢٢] .

ومن عجب أن الأسرة الثالثة عشرة التي حكمت في الدلتا وهي متعاصرة جزئيا مع سابقتها كان لها هي الأخرى على عهد حاكمها نحسى (≠٤٥/ ١٦٤٠ - ٣٤/ ١٦٢٩ق .م) علاقات مع جبيل ومدن فلسطين . ساعده على ذلك عمله السابق كقائد لحماية سيلا (تل أبو صيفة) ، مما أمكنه من إقامة علاقات حسن جوار ساعدته عندما أصبح حاكما على استقطاب البعض منهم في بلاطه . لاسيما أنه شارك أبي-شيمو عبادة حر-شف ، فضلا عن الإله ست المعروف لدى الأسيويين والذي ماثله الهكسوس فيما بعد بمعبودهم سوتخ كعنصر أساسي في سياستهم الانتهازية[٢٣] . تلك السياسة التي بلغت ذروتها باحتلال مصر في ضوء اللامركزية التي شهدتها مصر بعد نهاية الدولة الوسطى وتولى ما يربو على الستين حاكما الحكم لفترات غاية في القصر ، بما يمكن معه القول إن أية آثار لعلاقات مصرية - سورية خلال تلك الفترة إنما هي نتاج طبيعي لسياسة ملوك الأسرة الثانية عشرة المتكاملة حيال الإقليم السوري[٢٤] .

وعلى أية حال ، فلقد كانت منطقة سوريا تشهد خلال تلك الفترة ضغطا

بشريا بحكم تحركات عناصر جديدة عرفت اصطلاحا باسم الشعوب الآرية أو الهندو-أوروبية ؛ وهم الحيثيون شمالا بمنطقة الأناضول والخوريون شمال شرق سوريا والكاشيون شرقا بمنطقة الرافدين والآخيون باليونان حيث مثلت بضغطها إرهاصا لوجود أحد عناصرهم في مصر وهم الهكسوس (٢٥) .

ولقد ساعدت على وجود الهكسوس إرهاصات أخرى تتمثل في زيادة عدد السكان في فلسطين ومجاوراتها خلال عصر البرونز الأوسط يفوق العصور السابقة ، مما استلزم معه حاجة المدن للتوسع والحماية لاسيما مع الزيادة المضطردة في استخدام ساحل البحر المتوسط كمعبر بشري وارتفاع المستوى التقني للأدوات باستخدام المعدن عوضا عن بعض الأنماط التقليدية للفخار الذي لم يفقد أهميته . وقد دعم ذلك سرعة الحركة والتنقل جنوبا من الشمال والشمال الشرقي بحكم معرفة الحصان والعربة بالمنطقة . ومن ذلك أيضا صراعات المدن السورية فيما بينها والتي أفضت لسيطرة يمحاض على قطنة ، والتي تأثرت بها طرق التجارة لجبيل التي هجرها أهلها لمصر ليستقروا في تل الضبعة . وقد أثر ذلك في العلاقة مع مصر ، مما يفسر عدم ذكر حاكم جبيل في نصوص اللعنة برغم ذكر شعبها . بل إن لقب «حقا خاسوت» أي الحاكم الأجنبي الذي عرف به حكام الهكسوس قد وجد مكتوبا على إناء بمقبرة في جبيل ترجع لمنتصف القرن السابع عشر (٢٦) .

والواقع فلم تكن قضية أصل الهكسوس هي فقط التي يكتنفها الغموض ، بل مثل التحديد الزمني لدخولهم مصر معضلة أخرى بحكم تداخل أسرات عصر الانتقال الثاني . وفي المجمل ووفق أحدث حسابات التوافق الزمني التاريخي ؛ فإننا إذا اعتبرنا نهاية الأسرة الثانية عشرة عام ١٧٩٥ ق .م . هي البداية للثالثة عشرة ، فإن نهاية هذه الأخيرة إنما تقع حوالي ١٦٣٨ ق .م . في حالة اعتبار عهد آخر ملوكها دده مس (توتيمايوس) عاما واحدا . أو أن تقع النهاية عام ١٦٢٧ ق .م . إذا امتد عهده لاثني عشر عاما ، وهي ذات الفترة

الخاصة بنهاية الأسرة الثالثة عشرة في الدلتا . في حين تظل مشكلة الأسرة الرابعة عشرة الحاكمة في سخا قائمة في ضوء ما طرحه مانيتون عن سني حكم ملوكها وعددهم ٧٦ ملكا حكموا لمدة ١٨٤ عاما ، وهو ما يعني نظريا بداية الأسرة مع نهاية الأسرة الثانية عشرة ومعاصرتها للأسرتين الثالثة عشرة والخامسة عشرة . وهذه الأخيرة تحديدا تمثل الأسرة الرئيسية لعصر الهكسوس وقوامها ستة حكام حكموا قرابة ١٠٨ سنة ، تتراوح فيما بين (١٦٣٨-١٥٤٠ق .م) أو (٢٧/ ١٦٣١ - ١٩/ ١٥٢٣ق .م) وهي جميعها وبالاحتكام للوحة الأربعمئة عام الشهيرة تقع في نهاية الأسرة الثامنة عشرة وليس في بداية الأسرة التاسعة عشرة لوجود فارق زمني حوالي ثلاثين عاما ، مما يجعل البعض يميل لاعتبار حكم الهكسوس سابقا على الأسرة الخامسة عشرة وفيما بين عامي (١٧٢٥-١٧١٠ق .م) أما الأسرة السادسة عشرة التي حكمت بالدلتا وارتبطت تاريخيا بالهكسوس ، فقد عاصرت هي الأخرى الأسر الثالثة عشرة والخامسة عشرة مثلما الحال مع نظيرتها الرابعة عشرة[٢٧] .

أما على مستوى الوجود والعلاقات فيبغي أن نضع في اعتبارنا الخلفية السورية لهؤلاء الغزاة وتوجههم الشرقي بحكم الأصول الأولى ، فالمعروف أن أولئك الذين سكنوا في المدن المحصنة بقرقميش وقطنة وغزة وشاروحين هم أسلاف الهكسوس . أما كيف دخلوا مصر فربما كان بشكل سلمي ولموجة بشرية من الموجات المتعاقبة على حدود مصر الشرقية إبان انهيار السلطة المركزية في أخريات الدولة الوسطى . أو أنهم نجحوا كغزاة بعدما قويت شوكتهم في إقصاء ددي مس وإحلال ساليتس محلة كملك ، حيث نجح خلفاؤه في مد نفوذهم حتى مصر الوسطى ، وكذا في المنطقة المتعدة غالبا من جنوب طيبة متوغلة في بلاد النوبة حتى منطقة كرما[٢٨] .

ولقد حرصوا على إعطاء وجودهم كيان الدولة باتخاذهم عاصمة ؛ أواريس المختلف على تحديد موقعها[٢٩] ، ومعبود رسمي هو سوتخ . كما قرروا

تحصيل الجمارك على التجارة السورية التي كان لحكام طيبة على عهد كامس نصيب منها . مما يدعم الرأي الخاص بإمكانية وجود علاقة صداقة في بداية عهد الأسرة الطيبية كان نتاجها زواج أبيبى حاكم الهكسوس من الأميرة الطيبية تاني[٣٠] . فضلا عن السماح للنبلاء المصريين برعي قطعانهم في مراعي الهكسوس بمصر الوسطى ، كمنحة تميز ذات بعد سياسي تخص الصفوة من أصحاب القرار[٣١] .

وما من شك فإنه إذا كانت طيبة قد أقامت علاقة تجارية مع سوريا فمن الأولى أن تكون لحكومة الهكسوس ذات النشاط وبشكل أوسع مع الإقليم السوري الواقع بين ظهرانيها . وهو ما عكسته كمية الشواهد الأثرية خارج حدودهم لعلاقات مع حكام مدن فلسطين وسوريا بل وبحر إيجة ، تمثلت في زيجات سياسية ونشاط تجاري أنعش الحركة في ميناء أواريس . في حين لم تكن هناك أية مواجهات عسكرية تفترض معها تجاوز سطوة الهكسوس لأبعد من سيناء ، نظراً لاستمرار سيطرة حازور على معظم المدن السورية[٣٢] .

والواقع فإن وصف الهكسوس بالآسيويين المخربين وبأن عصرهم هو «عصر الاضطراب» ونعت حكامهم بحكام البلاد الأجنبية وأمراء رتنو ، من شأنه أن يصبغ النظرة المصرية لهم بالصبغة العدائية في ضوء التهديد التاريخي الماثل خلف الحدود . على الرغم من أن من سبقوا الهكسوس من الكنعانيين واستقر بهم المقام بتل الضبعة وتل اليهودية وتل المسخوطة لم يكونوا من ذوي الدوافع السلطوية بل كانت هجراتهم بدافع اقتصادي بحت[٣٣] . ومن ثم كانت الصحوة المصرية على يد سقنن رع وولديه كامس وأحمس ، والتي سجلتها مصادر عهودهم ؛ مثل بردية ساليبه من عهد سقنن رع والتي تناولت أولى مراحل «حرب التحرير» . حيث كان امتناع الزعيم الطيبي عن دفع الجزية المقررة وتجميعه لأمراء الجنوب من حوله بداية المواجهة مع هؤلاء الغزاة والتي دفع فيها سقنن رع حياته ثمنا لها ليتولى المهمة من بعده ولده كامس الذي نعرف عن مرحلتي

جهوده القتالية الموفقة برا ونهرا من لوحتي كارنارفون ، لتدين له بها مصر الوسطى ودروب الواحات البحرية المنفتحة عليها . إلا أن القدر لم يمهله وليستأنف المهمة من بعده أخوه أحمس ، الذي يخبرنا قائده أحمس بن إبانا في سيرته الذاتية عن جهود سيده في قتال الهكسوس وحصارهم حتى تسنى له طردهم . وليتوج كفاح سلفيه ضد هؤلاء الغزاة الذي جثموا على صدر مصر قرابة قرن من الزمان[٣٤] .

وما يعنينا في هذا المقام المرحلة الأخيرة التي تخص انسحاب فلول الهكسوس ، بعد سقوط عاصمتهم أواريس على يد أحمس ، عبر سيناء إلى شاروحين (تل العجول أو تل الفارعة) على الساحل جنوبي غزة حيث مناطق تجمع الآسيويين . في حين ألحق من بقي منهم كأسرى في خدمة الجيش المصري ، الذي خاض ثلاث حملات في كنعان (خارو) وجاهى كانت أخرها قبيل نهاية حكمه بسنوات أربع[٣٥] ، وإن كان هناك من لا يميل لقيامه بأية حملة بعد سقوط شاروحين ، والذي حال دون أي تجمع محتمل لفلول الهكسوس أو محاولة إعادة الكرة مرة أخرى ضد مصر[٣٦] . حتي إن ذكر شاروحين لم يرد في النصوص المصرية منذ حوليات أحمس بن إبانا إلا على أيام تحوتمس الثالث لتمركز إحدى الحاميات المصرية بها قبيل حملته على مجدو[٣٧] .

ثانياً: من الدولة الحديثة (≠ ١٥٥٠ - ١٠٧٠ق.م) حتى نهاية الألف الثاني ق.م.

دخلت مصر بالتخلص من «طاعون الهكسوس» مرحلة جديدة في سياستها الشرقية عبر سيناء تقوم على مبدأ «المد التوسعي» دون «المد الوقائي» الذي ساد مرحلة ما قبل الهكسوس ، وذلك من خلال مفهوم «الإمبراطورية» الذي بدأ منذ بواكير **الأسرة الثامنة عشرة** على عهد أحمس . وهو الأمر الذي يراه البعض مستعصيا على الفهم في أن يكون للجيش المصري القدرة على دحر المدن الفلسطينية الحصينة في المرحلة الأولى من الأسرة الثامنة عشرة ، متناسين أن هذا

الجيش نفسه قد حاصر ودمر واحدة من أكبر المدن في الشرق الأدنى في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد وهي أورايس[٣٨] .

ولقد ساعد على تبني السياسة المصرية الخارجية لتوجه «المد التوسعي» اتفاقه مع ظهور القوى الكبرى (الإمبراطوريات مجازا) التي سادت الشرق الأدنى القديم خلال تلك الفترة . فمملكة الحيثيين خرجت من الإطار الأناضولي إلى الإقليم السوري الأرحب حتى حلب . فيما سيطرت ميتان (مملكة الخوريين) على الساحل الشرقي للبحر المتوسط ومنطقة شمال الرافدين حتى الضفة الشرقية لنهر دجلة . فيما سيطر الكاشيون على جنوب بلاد الرافدين والعيلاميون شرقها ليحكموا سيطرتهم على جنوبي غرب إيران[٣٩] .

ومن ثم لم يكن متصورا أن تقف مصر وقد استوعبت درس الهكسوس بمعزل عن هذه القوى ، ليس فقط لمواكبة التيار الدولي التوسعي بل لاستعادة وجودها التاريخي بالإقليم السوري . بما يستتبعه من مصالح اقتصادية لتوفير المواد الخام الرئيسية التي لم تعد جبيل قادرة بمفردها على تلبيتها في ظل الاجتياح الحيثي والميتاني للممالك السورية[٤٠] . وإن عززت ذلك التوجه التوسعي بالبعد الديني الذي يجعل من كل البلاد الأجنبية قد خلقها الإله من أجل مصر وجعل من فرعونها سيدا عليها ، بما يستوجب منها جميعا العمل من أجل مصر[٤١] .

والواقع فلقد عكست مظاهر المد التوسعي مدى تعمق هذا التوجه في السياسة المصرية بما زخرت به فترة الإمبراطورية من مصادر . منها على سبيل المثال لا الحصر ؛ الحوليات الملكية والسجلات اليومية والمراسلات الرسمية والمعاهدات ومناظر القتال ومراحل ولوحات النصر (wd n nhtw) وقوائم المدن وقصائد المديح ، فضلا عن السير الذاتية للأفراد المعاصرين والمشاركين للأحداث وكذا المصادر المعاصرة للدول الأخرى[٤٢] .

أما عن العلاقات ذاتها خلال النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة ؛ أي

قبل عهد تحوتمس الثالث ، فلم تقف مصر مكتوفة الأيدي أمام التربص الحيثي- الميتاني ببعضهما البعض بأعالي الفرات وانعكاسه على المدن السورية . ومن ثم ، فلئن كانت حملات أحمس لتعقب فلول الهكسوس قد وضعت اللبنات الأولى للصرح المصري الإمبراطوري ، فلقد جاءت جهود أمنحتب الأول أو بالأحرى خلفه تحوتمس الأول بمنزلة الاتجاه الفعال لمواجهة التوغل الحيثي في المدن السورية كرد فعل لضم خاتى لميحاض وألالاخ لحظيرتها إبان عهدي خاتو سيللي ثم مورسيللي صاحب التوجهات التوسعية الكبرى . لذا فقد كان اجتياح تحوتمس الأول لسوريا مقدمة حتمية للوصول لأعالي الفرات (نهارين) مسجلا نصرا بالغ الأهمية في وضع القوة المصرية على خريطة الأحداث هناك في مواجهة متاني . وليروي قلبه الظامئ - حسب تعبيره - للبلاد الأجنبية ، ولتعرف مصر ثانية تدفق الجزى السوري اعترافا بهيمنتها[٤٣] .

ومما لا شك فيه أن أهمية ما قام به تحوتمس الأول ترجع - فيما نرى - إلى محاولة تحجيم ميتاني عند سهل الرافدين ، وهي السياسة التي لم يكتب لها الاستمرار على عهد خلفه . إذ اقتصر نشاط تحوتمس الثاني العسكري شرقا على حملة ضد الشاسو سجلها قائده أحمس بن نخبت ، وأخرى ضد رتنو العليا سجلت على معبد الدير البحري[٤٤] . أما حتشبسوت فبعد أن استتب لها أمر العرش تبنت سياسة سلمية اقتصادية كان حظ الإقليم السوري منها حملة لاستجلاب خشب فينيقيا[٤٥] .

وعلى الرغم من أن كل الظروف الدولية كانت تقتضي وجوداً مصريا بسوريا ، إلا أن الظروف التي اكتنفت العلاقة بين حتشبسوت وتحوتمش الثالث قد أرغمت مصر على التواري لمدة ثلاثين عاما عن المسرح الدولي . الأمر الذي كفل لملك ميتاني (باراتارنا؟) مد مظلة نفوذه على مدن شمال الإقليم السوري الرئيسية من غرب الفرات حتى السهل الأدنى من نهر العاصي ، والتي كوّنت بتحالفها معه منطقة حاجزة تمتد في عمقها جنوبا نحو فلسطين . إذ لعبت كل من تونيب

وقادش فضلا عن حلب على عهد حاكمها إدريمي دور مخلب القط الميتاني ضد مدن أوجاريت وألالاخ وجبيل فضلا عن مدن سوريا الداخلية وشمال سهل الأردن وفلسطين التي وصفها حاكم قادش بأنها «حليفته»(٤٦) .

وخطورة هذه التحالفات التابعة لميتاني تكمن في كونها على مرمى حجر من الحدود المصرية ، بما يمكن أن يستنفر فيها الرغبة في التمادي في ظل ظروف مصر الداخلية على عهد حتشبسوت ومرحلة النقلة الخاصة بعهد تحوتمس الثالث (١٤٧٩ - ١٤٢٥ ؛ منها الفترة الخاصة بحتشبسوت ١٤٧٩-١٤٥٧ق .م)(٤٧) . وبالفعل فقد كان هذا ما يرمي إليه حاكم قادش بتجميع قواته في سهل مجدو (تل المتسلم الحالية) ، والتي كان رد فعل تحوتمس الثالث حيالها يتفق في سرعته وخطورتها(٤٨) .

وسواء كان الهدف هو حماية حدود مصر أو التوسع فيما وراءها أو لإنقاذ النفوذ المصري على بعض مدن جنوب فلسطين من غيلة قادش ، فقد نجحت حملة مجدو أيما نجاح(٤٩) . إذ أظهرت «حوليات تحوتمس بالكرنك» وكذا «لوحة أرمنت» القدرات الفائقة للإستراتيجية العسكرية المصرية في الزحف عبر نقاط محددة ومحصنة بدءاً من قلعة ثارو ثم غزة ومنها ليحم على مشارف جبل الكرمل ، ليتخذ طريق عارونا وفق خطة قلبت موازين العدو وعجلت بهزيمته ثم التسليم المخزي بعد حصاره داخل مجدو نفسها التي من المستغرب عدم كشف معول الحفار عن تحصينات بمنطقتها حتى الآن . وقد كفل له هذا النصر إنفاذ ستة عشر حملة ضمنت له الأربعة الأولى منها السيطرة على معظم مدن الإقليم السوري بإقليم رتنو (بحذاء نهر الليطاني) ، والتي تعهدت بألا تثور ضد فرعون مصر مرة أخرى حسب نصوص عهده في أرمنت وجبل برقل والكرنك(٥٠) .

أما تونيب وقادش رأسا الحربة فقد تكفل بهما تحوتمس الثالث في جولة تالية لمجدو بسبع سنوات ، حيث كان دحرهما في عامين متتاليين سبيلا لمد سيطرته على المدن السورية حتى أولازا التي تحصن بها ابن حاكم تونيب الذي لم

يكن حظه بعد عام واحد بأحسن من حظ والده[٥١] . في حين مثلت الحملة على متتاني في العام التالي قمة المواجهة التي استخدمت فيها البحرية مع الجيش في منظومة واحدة ، كما قدمت المدن الحليفة لمصر كجبيل مساعدتها التقليدية ممثلة في السفن اللازمة لعبور الفرات ومهاجمة ميتاني . وهو الأمر الذي استلزم إسقاط قرقميش قاعدة ميتاني الأمامية لتصبح ميتاني على مرمى حجر من السيطرة المصرية وليهرب على إثرها حاكمها . وقد ترتب على هذا النصر إعادة تحوتمس الثالث حدود مصر لما كانت عليه منذ عهد تحوتمس الأول عند الفرات و(نهارين) ، ولتصبح حملاته التالية بما فيها من نشاط لجمع الجزى أو حتى للصيد بمنزلة التوكيد لإنجازاته المظفرة ولتثبيت حدود مصر التي وصلت لأقصى مداها شرقا على عهده[٥٢] .

والجدير بالذكر أن تحوتمس الثالث كان بعيد النظر في عدم مهاجمة ميتاني في البداية برغم كونها الرأس المدبر لتمرد المدن السورية ، تاركا لآشور المناوئة لها مسألة إضعاف بعض كيانها في الوقت الذي يكون فيه قد ضمن محالفة بابل وخاتي له وقد عبرا عن ذلك بما كانا يرسلانه له من هدايا[٥٣] .

والواقع فإن توافق الهجوم على تونيب مع موسم الحصاد هناك كان له عائده الاقتصادي ممثلا في كميات الحبوب والفواكه والنبيذ التي حملتها السفن المصرية ، وأصبحت جزءا من التموين الذاتي للحملة حيث كان العائد العسكري من نصر مجدو وخضوع من حولها إضافة فعالة للتسليح المصري ممثلا في ٩٢٤ عجلة حربية و ٢٠٤١ حصان و ٥٠٢ قوس و٢٠٠ درع ، تحصل عليها من أمراء ١١٩ مدينة معظمها في الهضبة السورية وسهل البقاع وشمال سهل الأردن . حيث سجلها على جدران معبده بالكرنك ، على الرغم من أن تحديد البعض منها جغرافيا لايزال محل جدل كبير[٥٤] .

أما العائد السياسي للحملات فقد تمثل أولا في ضمان جبهة مضادة لميتاني من حكام المنطقة كحاكمي بابل وآشور بورنابوريش الأول وأشور-نيراري كما

ذكرنا سلفا . فضلا عن تليبينوس الحيثي ونيقيميا حاكم ألالاخ ، الذين عبروا عن ولائهم لمصر بالهدايا ذات البعد السياسي (٥٥) . وثانيا في دعم استمرارية هذا التحالف باصطحاب أبناء الأمراء وإخوتهم لمصر ضمانا لولاء ذويهم ولإحلال أي منهم في حالة وفاة الحاكم . وهي مسألة رغم وجاهتها سياسيا تحتاج لتقويم فعاليتها الواقعية في سياسة مصر الخارجية (٥٦) . أما ثالثا فيتعلق باستحداث نظام إداري يضمن للمدن السورية الثانوية استقلاليتها الاسمية في ظل تبعية فعلية لمصر ، وذلك بترك أمورها في يد حكامها المحليين كنواب لمصر (idnw) بلقب (wr) . في حين ظلت المدن الرئيسية مثل غزة وبيسان وينعم وأولازا تابعة للإدارة المصرية مباشرة من خلال حاكم بلقب (imy-r h3swt) «مشرف البلاد الأجنبية» ، تعاونه حامية صغيرة لحفظ السلام وجمع الضرائب (٥٧) .

ومما لاشك فيه أن هروب (سوساتار؟) حاكم ميتاني كان هروبا تكتيكيا ولم يكن تسليما بالأمر الواقع مثلما فعل أمراء المدن السورية . بيد أن هؤلاء أنفسهم بزعامة تونيب وقادش قد أغراهم هروب حليفهم بالتمرد الذي استشرى بين معظم المدن السورية كالنار في الهشيم ، مستغلين مرحلة انتقال السلطة لأمنحنت الثاني مثلما فعلوا مع أبيه من قبل . بحيث استعاد سوساتار سدة الحكم في متاني واتجه للتوسع غربا على حساب خيتا بعدما دان له إقليم زاجروس . والأهم أن المدن السورية جنوبي قادش فضلا عن نيا وحلب وأوجاريت قد غدت حليفته ثانية ، بالشكل الذي انقلب فيه ميزان القوى الدولية لغير صالح مصر (٥٨) .

ومن ثم كان لزاما على أمنحتب الثاني مواجهة ميتاني وحلفائها التي تمت في حملات ثلاث غطت السنوات الست الأولى من عهده الممتد فيما بين ١٤٢٧-١٤٠١ق .م ، حيث أخضعت الأولى منطقة تاشكي (بإقليم قادش) في حين وجهت الثانية نحو قادش نفسها ومعها قطنة ونيا جنوب ألالاخ . أما الثالثة في سهل الأردن فلم تكن بأهمية سابقتيها (٥٩) .

ويلاحظ على حملات أمنحتب الثاني التوكيد على ما حصلت عليه مصر من هدايا حكام بابل وخاتي وغيرها والتي تمثل في حد ذاتها أمرا عاديا في الدبلوماسية الدولية . لولا أن الجديد فيها وجود حاكم ميتاني ضمن هؤلاء سعيا للود وطلبا للرحمة بعد «سياسة القمع» التي اتبعها أمنحتب الثاني في حملتيه مع حكام مدن سهل نهر العاصي ، وبعدما فقدت حليفها التقليدي في حلب لصالح عدوها الآخر في خيتا التي استثمر حاكمها تودخالياس الأول كل الظروف لمصلحته وبما لا يمكن معه لميتاني فتح جبهتين في آن واحد[٦٠] .

ومن ثم كان الصلح مع أتاتاما الأول الذي صادف هوى في نفس أمنحتب الثاني لما سيكفل من تقوية سطوته على منطقة النفوذ المصري بالإقليم السوري الممتدة من سهل البقاع جنوبا حتى قادش شمالا مقابل شمال سوريا ونهارين لحليفه[٦١] . وهو الأمر الذي ضمن لمصر عدم إطالة خطوطها القتالية لأبعد من قادش وإيجاد حليف يضمن كسر شوكة دولة خيتا ومطامعها البادية في الأفق . وقد تعزز التحالف المصري الميتاني بزيجة سياسية بين تحوتمس (الرابع) ابن أمنحتب الثاني والأميرة موت - إم - ويا ابنة أرتاتاما الأول[٦٢] .

وعندما اعتلى تحوتمس الرابع أريكة العرش لم تتعد سياسته حيال سوريا استعراض القوة بحملة على مدن الساحل وحتى سهل نهر العاصي ، فضلا عن أعالي الفرات (بمنطقة نهارين) متخطيا الحدود بين مصر وميتاني . بما يحمل على الظن سماح صهره له بذلك دعما لحكمه وجريا على ما اعتاد عليه أسلافه باستهلال عهودهم بحملة آسيوية[٦٣] .

وهكذا كان ضعف صدى الجهود العسكرية لتحوتمس الرابع إرهاصا للمرحلة الأخيرة من عهد الأسرة الثامنة عشرة فيما يعرف «بعصر العمارنة» ، الذي تمثل فيه رسائل أرشيف العمارنة المصدر الرئيسي للتعرف إلى ما تم فيه من أحداث في مصر وسوريا وانعكاساتها على العلاقات الدولية ككل في الفترة التي نحن بصددها[٦٤] . فقد عاشت مصر على عهد أمنحتب الثالث حالة من

الاسترخاء العسكري بعامة ومع سوريا بخاصة رغم الوصف التقليدي للملك بقاهر الآسيويين ، متواكبة مع الثراء الذي نعمت به كنتاج لجهد الأسلاف المحاربين(٦٥) . ومما يلقي الضوء كمثال على اهتمامات الفرعون رسالته لملكيلو أمير جازر التي يستحثه فيها على إرسال طلبه من الذهب والفضة والعاج والأحجار الكريمة والمنسوجات ، وكذا أربعين امرأة من أجمل ما يمكن على ألا تكون أية واحدة منهن حادة الصوت ! ! (عمارنة ٢ ١ ٣)(٦٦) .

كما يعكس نمط الدبلوماسية المصرية آنذاك حالة الاسترخاء تلك لاقتصاره على عقد الزيجات السياسية مع الحلفاء في بابل وميتان ، لاسيما الأخيرة التي عقد فيها أمنحتب الثالث مصاهرة مع حاكميها المتعاقبين ؛ الأولى على كيلوخيبا ابنة شوتارنا الثاني والأخرى على تيدوخيبا ابنة توشراتا . ولا يعنينا هنا خطوات الزواج وملابساته بحكم طبيعة الموضوع(٦٧) ، بل يعنينا عدم الاكتراث المصري ممثلا في مليكها حيال التحركات الحيثية على يد شوبيلوليوما المؤسس الفعلي لإمبراطوريتها ضد ميتاني التي وقعت فريسة لصراعات العرش . حقيقة أن الهجوم الحيثي قد باء بالفشل لكنه حمل نذر الصراع المقبل التي لن تكون مصر بمعزل عنه ، لاسيما أن منطقة النفوذ الميتاني في سورية كانت تمثل عمقها الاستراتيجي بذات المنطقة(٦٨) .

بيد أن تداعيات الهجمة الحيثية كانت من القوة بحيث كلفت ميتاني نفوذها كله شمال الإقليم السوري الداخلي غربي الفرات حتى قادش جنوبا ؛ أي عند الحدود المتفق عليها سلفا مع مصر . وذلك فيما يعرف بالحملة السورية الكبرى الأولى ثم الثانية وخلال عهدي أمنحتب الثالث وخلفه أخناتون ، وفيهما تم لخيتا ضم حلب وموكيش ونيا ونوخاشاش وألالاخ وقطنا ثم قادش . وقد تمت جميعها بمعاونة نيقماد الثاني حاكم أوجاريت والحليف الجديد لخيتا والسابق لمصر بموجب زيجة سياسية ، ولم يبق خارج السيطرة الحيثية إلى حين سوى قرقميش في أعالي الفرات(٦٩) .

وعلى الرغم من تقلص نفوذ ميتاني بالإقليم السوري لصالح خيتا ، فإن تداعي قسمها الشرقي على يد آشور قد دفع بحاكمها شاتيوازا للجوء لعدوه الحيثي طالبا دعمه في صراع العرش وليصبح حليفا له . ولم يتردد شوبيلوليوما في انتهاز هذه الفرصة ليدخل على إثرها واشوكاني عاصمة متياني ذاتها ليقضي على حاكمها المدعوم من آشور . وليفضي الوضع في النهاية إلى تحول ميتاني إلى دويلة ضعيفة بعدما اقتسمت آشور وخيتا أملاكها بالمنطقة ، بحيث أصبحت مطامع هذه الأخيرة التوسعية هي الخطر الفعلي على النفوذ المصري بسورية(٧٠) .

وما يهمنا في هذا الصدد هو موقف المدن السورية في ظل المتغيرات الدولية الجديدة إذ وجدت نفسها شاءت أم أبت في أتون التنافس المصري الحيثي . في الوقت الذي كانت فيه مصر غير مهيأة له على عهد أمنحتب الثالث ومشاركه في الحكم ثم خليفته أمنحتب الرابع (أخناتون) . ليس فقط بسبب الاسترخاء العسكري الذي ألقى بظلاله على الموقف ، بل أيضا بحكم التوجهات الدينية الجديدة المعروفة اصطلاحاً «بالدعوة الآتونية» . حيث شغل بها دولاب العمل السياسي سواء على مستوى العاصمة التي تم نقلها إلى تل العمارنة (آخت آتون) ، أو على مستوى الكهانة الرسمية للإله آمنون التي كان عليها مواجهة الموقف وبساط الهيمنة يكاد يسحب منها - من قبل حتى الدعوة الجديدة - مثلا في خلق توازن جديد لصالح الملكية المؤلهة أو بعض الآلهة الرئيسية ببناء معابد لها مثل بتاح في منف وخنوم في إلفنتين وتحوت في الأشمونين ونخبت في الكاب(٧١) .

وفي ظل هذه الظروف كان لابد أن تطرأ ثمة متغيرات على الأوضاع السياسية لحكام مدن الساحل السوري وامتداده جنوبا فيما يعرف بإقليم أمورو . إذ رصدت ٣٥٠ رسالة من رسائل العمارنة جل الأوضاع السياسية وعلاقات مصر بملوك ختيا وميتاني وبابل وقبرص خلال هذه الفترة وحتى العام الرابع من حكم توت عنخ آمون . وقد كانت معظمها من الحكام المحليين بالإقليم السوري

مثل إيتاكاما حاكم قادش وأكيزي حاكم قطنة وعبدى أشرتا حاكم أمورو ولابايو حاكم شكيم وعبدو خيبا حاكم أورشليم فضلا عن رب - عدى حاكم جبيل وملكيلو حاجم جازر وخلفه ياباهو وغيرهم . وقد بلغ عددهم خمسة وعشرين حاكما من جملة سبعة وعشرين مدينة سورية ، وإن تحكم في دفة الأمور فيها ثلاثة عشرة مدينة كبرى لتبقى الصغرى منها في حكم التابع أو المحكوم من مثيلاتها الكبريات(٧٢) .

أما مدن شمال سوريا فقد تساقطت حسبما ذكرنا الواحدة تلو الأخرى في قبضة شوبيلوليوما . وبالرغم من نقل رب - عدى حاكم جبيل لمليكه في مصر الصورة كاملة ملحا عليه بالتدخل لوقف الزحف الحيثي ومواجهة الموقف المتذبذب لعبدي أشرتا حاكم أمورو بما يمثل خطر مزدوجا عليهم ، إلا أن الرد المصري جاء بطيئا ومحبطا لرب - عدى انطلاقا من سوء تقدير الموقف . حتى إن القوات المصرية التي أرسلت كانت صغيرة الحجم مما دفع رب - عدى لتلمس المساعدة ضد مناوشات أمورو من حكام بيروت وصور وصيدا ، وهو ما أنكره عليه الفرعون متهما إياه بالتسرع(٧٣) .

والواقع أن الأمر كان جد خطير لما سببه عبدى أشرتا من قلاقل مستغلا تحركات قبائل العابيرو (الخابيرو) الذين كان يسميهم الأعداء بشكل دعائي ، إذ كان يطلب قوات لدعم موقفه برغم سيطرته عليهم فعليا . في حين استخدمهم كقوام لجيشه الذي هدد به كافة المدن المجاورة له لاسيما جبيل ، مستثمرا له في ذلك الفارق الحضاري بين تلك القبائل وأهل المدن الساحلية التي سيطر على البعض منها بالفعل(٧٤) .

ومن عجب أن المحاولة المصرية لدرء هذا الخطر القبلي للعابيرو قد اقتصرت على إخلاء منطقة أمكي بشمال فلسطين من معظم سكانها ، فضلا عن تعيين إخناتون لحاكم عسكري ومقره أورشليم بهدف وضع هؤلاء المقيمين بالأراضي المرتفعة تحت المراقبة والسيطرة . بيد أن هذا الإخلاء جاء بنتيجة عكسية إذ شجع

قبائل أخرى على التحرك نحو الشمال لمنطقتي الجليل وسورية عبر صحراء النقب لغزة وعسقلان مهددة الطريق الواصل بين فلسطين ومصر ، مما استدعى بناء التحصينات اللازمة فيما بعد لدرء استمرار تلك التحركات القبلية(٧٥) .

وهكذا ألقت أوضاع مصر الداخلية على عهد إخناتون بظلالها على الأحوال الخارجية ، إذ غدا النفوذ المصري في تراجع بالإقليم السوري بغض النظر عن مبدأ المساواة بين الشعوب في الدعوة الأتونية . وأصبح المتحكم في اتصالات مصر بأمراء سوريا اثنين من موظفي القصر هما توتو ومايا(٧٦) . ففي الوقت الذي كان فيه الحيثيون مستمرين في التوسع بالإقليم السوري على حساب مصر ، كان عزيرو بن عبدى أشرتا حاكم أمورو مستمرا في تنفيذ سياسة والده كحليف مزدوج مستهدفا هو الآخر توسيع دائرة نفوذه بالمدن الساحلية . وبرغم تصدي حاكم جبيل له إلا أن محاولاته ذهبت أدراج الرياح بعد استمالة عزيرو لأخيه ، مما اضطره للجوء السياسي في بيروت قبل أن يقبض عليه عزيرو ويسلمه لحاكم صيدا التي انقطع عندها ذكره في المصادر . ويبدو أن مصر قد استدعت عزيرو لتبرير أفعاله ، إلا أن السيف كان قد سبق العذل(٧٧) .

فسواء ذهب عزيرو أصلا لمصر أم لا ! وسواء نفي لفترة أو عاد أدراجه لأمورو ! فالمحصلة النهائية تمثلت في تلك الصورة الباهتة للنفوذ التقليدي المصري بالمدن السورية . وعلى الرغم من محاولات أكيزي حاكم قطنة الإبقاء مع بعض حلفائه على التبعية لمصر ، إلا أن تحركات عزيرو ضدهم قد توجها بالتحالف مع خيتا بموجب معاهدة مع شوبيلوليوما دانت له بموجبها السيطرة على المنطقة الساحلية الممتدة من جبيل جنوبا إلى أوجاريت شمالا . في ذات العام الذي قضى فيه إخناتون نحبه (حوالي ١٣٣٧ق .م) وتولى تون عنخ آمون سدة الحكم خلفا له(٧٨) .

وبالرغم من قيام الملك توت عنخ آمون بحملات ضد لابايا حاكم العابيرو في شكيم ولتهدئة الموقف المتأزم في جازر ، إلا أن لوحته المحفوظة بالمتحف

المصري (رقم ٣٤١٨٣) قد أشارت ضمنيا لصعوبة استعادة مصر لمكانتها السابقة في سوريا لظروفها الداخلية ، برغم جهود قائده حور محب الناجحة في النوبة وجنوبا سوريا . حيث أظهرت مقبرته وكذا مقبرة القائد حوى مناظر العديد من الأجانب يقدمون الجزى[٧٩] . حقيقة أن ذلك قد عُزيَ لغضبة إلهية بسبب الهرطقة الآتونية ويرى أن رضاها كفيل بتغيير الأوضاعَ ، إلا أن الواقع بعيدا عن المشاعر الدينية كان متمثلا في رزوح مدن الشمال السوري طائعة أو مختارة تحت النير الحيثي بما فيها قرقميش التي أخضعها شوبيلوليوما أخيرا ونصب عليها ابنه بياسيللى مثلما فعل مع حلب من قبل[٨٠] .

وهكذا في الوقت الذي اكتفت فيه مصر بالقسم الذي قطعته المدن السورية على نفسها بالتبعية لمصر منذ عهد تحوتمس الثالث برغم عدم فعاليته ، كانت خيتا قد أبرمت معها جميعاً معاهدات رسمية تلزم كل حاكم سوري بالمثول في خاتوساس بين حين وآخر لتقديم فروض الولاء والطاعة ودفع الجزية المفروضة عليه . وأصبح على مصر قبول الواقع الحيثي الجديد في علاقاتها بالإقليم السوري[٨١] ، والذي امتدت آثاره لمصر بذلك المطلب الشهير من أرملة الملك توت عنخ آمون في الغالب للزواج من ابن الملك الحيثي حوالي عام ١٣٢٣ق .م ، الأمر الذي استلزم تدخل الطبقة العسكرية التي كانت ترقب الموقف . ذلك أن ضياع النفوذ المصري في الإقليم السوري قد أثر دون شك على الطبقة العسكرية الجديدة التي مثلت عنصرا جديدا في الإرستقراطية المصرية بحكم التوجه المصري التوسعي لمصر منذ الأسرة الثامنة عشر ، ومن ثم كان تدخلها انعكاسا طبيعيا لتفاعل المصلحة الاجتماعية لها مع نفوذها في السيطرة على صنع القرار والمتمثل عمليا في تولى حور محب حكم مصر[٨٢] .

وعلى أية حال فقد سادت حالة من الهدوء النسبي مدن الإقليم السوري في نهاية عهد شوبيلوليوما ثم خلفيه مورسيللي ومواتاللي ، بحكم ضمان الولاء من جانب والانشغال بمتابعة فلول المعارضة الميتانية بمدن قليقية مثل ميرا وهابالا

فضلا عن أرزاوا وميلاواندا . مما ساعد مصر في بداية حكم **الأسرة التاسعة عشرة** على ترتيب البيت من الداخل قبل الاستعداد لجولة جديدة تستعيد فيها نفوذها المسلوب بالإقليم السوري ومكانته الطبيعية كقوة عظمى بالمنطقة[٨٣] .

ومن ثم فقد كان طبيعيا أن يبدأ سيتي الأول فور توليه العرش عام ١٢٩٤ق .م حروبه ميمما وجهه لحدود مصر الشرقية ، وهي الحروب المسجلة على الجدار الشمالي لقاعة الأعمدة الكبرى بالكرنك . حيث كان نصيب حملاته السورية منها أربعة صفوف من جملة ست صفوف اقتصر الخامس منها على حملته الليبية في حين خصص السادس للمواجهة الحيثية التي تمت أيضا بمنطقة النفوذ الحيثي في سورية[٨٤] .

ولقد نجح سيتي الأول في حملته الآسيوية في تأديب بدو الشاسو وإخضاع مدن كنعان حتى مجدو ، بعدما انطلق عبر الطريق الحربي التقليدي (طرق حورس) بدءاً من سيلي لرفح ثم عزة . إذ كانت سيلي تمثل نقطة الارتكاز العسكري والإداري الخاصة بأقاليم سورية الجنوبية منذ بدء التوسع المصري هناك ، بحيث غدت مركزا لأحد أهم القيادات العسكرية بلقب hry pdtyw الذي تقلده من قبل رعمسيس الأول وكان أحد مؤهلات اختياره من قبل حور محب[٨٥] . أما غزة «مدنية كنعان» فقد جعلها سيتي الأول قاعدة للسيطرة على مدن كنعان الداخلية وأهمها ينعم وبيسان فضلا عن تأديب قبائل العابيرو . بعكس مدن أمورو الساحلية الجنوبية حتى جبيل التي عكست مناظر قطع الأخشاب فيها توجها سلميا حيالها بحكم سرعة عودتها للانضواء للسيطرة المصرية منذ سيطرة عزيرو عليها ، مما منح سيتي فرصة لالتقاط الأنفاس قبل أن يجتاح قادش وشمال أمورو حتى سميرا وأولازا . ثم في طريق العودة لمصر أعاد الكرة التأديبية على المتمردين في بيسان[٨٦] ، لتصبح محصلة عامه الأول استعادة النفوذ المصري بسوريا حتى حدود منطقة النفوذ الحيثي بها . بما كان ينذر بمواجهة محتملة مع خيتا التي كانت قد بدأت تواجه بعض الأخطار الخارجية التي دفعت

مواتاللي لنقل عاصمته جنوبا نحو كارامان(٨٧) .

ولقد كان خروج بنتشينا حاكم أمورو على خيتا من أهم المشكلات التي اضطر معها مواتاللي لعزله وتعيين حاكم من قبله عليها يدعى شابيلي . وقد وجدها سيتي فرصة للتدخل فزحف نحو أمورو متسردا قادش التي كان الحيثيون قد استغلوا انشغال سيتي بالجبهة الغربية واستولوا عليها في إطار سياسة الكر والفر بين الطرفين(٨٨) . ليقابل بعدها الحيثيين ممثلين في حاكم قرقميش ذي الخلفية الملكية الحيثية ، والذي كان النصر عليه نصرا ضمنيا على خيتا التي ربما ساعدت ببعض القوات . ليضع سيتي الأول بنصره هذا حدا لتأرجح الولاء السوري بين القوتين اللتين ربما وصل الأمر بينهما إلى عقد معاهدة سلمية تمت الإشارة إليها ضمن المعاهدة الكبرى بين مصر وخيتا على عهد رعمسيس الثاني(٨٩) .

والواقع فإن رعمسيس الثاني لم يصل إلى تلك المعاهدة إلا بعد أكثر من عقدين من عهده شهدا وجوداً مصريا مكثفا بالإقليم السوري منذ العام الرابع من عهده الممتد فيما بين ١٢٧٩ - ١٢١٣ق .م ، حيث كانت أمورو نقطة الارتكاز فيه . فلقد استعاد بنتشينا حاكمها مكانته التي كان الحيثيون قد أقصوه عنها ، إلا أن حلفاء خيتا لاسيما قادش قد ناصبوه العداء مما استلزم تدخل مصر لمساندته كواحد من أهم حلفائها هناك . ومن ثم كان تقدم رعمسيس الثاني في عامه الرابع والذي خلده بلوحتين الأولى على نهر الكلب والثانية في صور(٩٠) .

وفي المقابل فقد استنفر هذا الوضع مواتاللي للتقدم نحو أمورو لاستعادتها أولا ومنع ضياع قادش أو غيرها من مناطق نفوذه ثانيا ، ثم ثالثا وأخيرا تلقين الفرعون الشاب درسا لا يجعله يجرؤ على مناوأة النفوذ الحيثي بسوريا . ومن ثم كان على رعمسيس في عامه الخامس خوض غمار المواجهة العسكرية الشهرية مع عدوه في قادش ؛ قلب الإقليم السوري(٩١) .

فقد عسكر رعمسيس بفرقة آمون إحدى فرق جيشه الأربع بالقرب من قادش ظنا أن عدوه لا يزال عند حلب . بيد أن اعتراف الجاسوسين بوجود مواتاللي قرب قادش قد قلب حسابات رعمسيس الثاني وعجل بمواجهة غير متكافئة كادت تضيع معها الجهود المصرية بالإقليم السوري لقرن من الزمان ، لولا الدعم بفرقة نعارين من الحليف المصري في أمورو إلى جانب ثبات الفرعون المحارب وسوء التقدير الحيثي في إخلاء أرض المعركة ليلا . ليعود الفرعون أدراجه بعدما حالت جهوده دون إلحاق هزيمة منكرة به ، وإن خسر بالطبع معظم مدن سوريا لاسيما إقليم يوبي شمال دمشق فضلا عن أمورو التي أسر حاكمها ، مما شجع عددا من مدن كنعان على التمرد ضد الوجود المصري بالمنطقة لا سيما بعد ظهور مملتكتي أدوم ومؤاب على الساحة . ومن ثم كان لزاما على الفرعون تحصين حدود مصر الشرقية تحسبا لأي تهديد محتمل مع وضع استعادة أمورو كهدف إستراتيجي لا مناص منه ، وهو ما يفسر عدم تحمسه لدعوة السلام الحيثية التي عرضها عليه مواتاللي فور أن وضعت الحرب أوزارها[٩٢] .

ومن ثم فقد شغل العاهل المصري نفسه خلال العامين الثامن والعاشر من حكمه بأحوال الإقليم السوري . إذ اتجه بقواته في العام الثامن صوب غزة ومنها لإقليم كنعان مقرا السيادة المصرية به ، في حين تكفلت تجريدة من جيشة بقبائل الشاسو شرق كنعان . ومن هناك قسم جيشه قسمين في خطة تطويقية كفلت له من جانب وللقسم الآخر بقيادة الأمير أمون - حرخبشف السيطرة على المدن الساحلية لأبعد من جبيل وفي الداخل لشمال البحر الميت ليلتقي القسمان جنوباً عند مؤاب . وقد شجعه هذا النجاح على استعادة إقليم يوبي ، وليستأنف في العام التالي صولاته الناجحة التي استرد بها موانئ شرق المتوسط الجنوبية من عكا حتى سميرا . ثم يتجه شرقا مقتحما سهل نهر العاصي في عمق منطقة النفوذ الحيثي التي لم يطؤها الجيش المصري قرابة مئة وعشرين عاما ، مستعيدا بذلك منطقة تونيب وعازلا قادش وأمورو إستراتيجيا عن مناطق الاتصال الحيثي في

حلب وقرقميش بل و خيتا ذاتها . مما جعل بمكنته مد خطوطه في سوريا الشمالية في عامه العاشر لأبعد مما وصل إليه مستغلا ظروف خيتا الداخلية في صراع مورسيللي وعمه خاتوسيللي على العرش بعد وفاة مواتاللي ، بحيث لم يعد لخيتا بسوريا سوى مدينة قرقميش . وقد خلدت نجاحه هذا لوحته الثالثه على نهر الكلب ، والذي عززه بحملة تأديبية لاستعراض القوة على بيسان في عامه الثامن عشر (٩٣) .

وبهذه الحملة البعيدة المدى والمدة استرد رعمسيس الثاني للنفوذ المصري بالإقليم السوري عافيته ، ولتأخذ بعده العلاقة المصرية - الحيثية منعطفا جديد أثمر عن تلك المعاهدة الشهيرة في التاريخ في العام الحادي والعشرين من عهد رعمسيس والمعروفة باسم «المعاهدة الفضية»(٩٤) . فقد كانت خيتا في حاجة ماسة لتلك المعاهدة بعد نجاح عاهل آشور شلمنصر الأول (١٢٧٥- ١٢٤٥ق .م) في إقصائها عن مناجم النحاس في إقليم إيساوا بالأناضول ، وبعدما شقت عصا الطاعة عليها كل الممالك الغربية التابعة لها ، في حين حصلت مصر بموجب تلك المعاهدة على اعتراف من عدو الأمس وحليف اليوم بسيادتها على الإقليم السوري الجنوبي من صحراء النقب جنوبا حتى قادش وتونيب في الداخل وجبيل على الساحل شمالا بما فيه دمشق وبيسان(٩٥) .

أما عن موقف المدن السورية فقد تمثل في وضع الشاهد للأحداث دون المشاركة فيها ، اللهم إلا بما يطلب منها . مثل استقبال نوخاشاش للملك الحيثي المعزول منفيا ، واستقبال إقليم يوبي لحوى سفير رعمسيس الثاني المكلف بإحضار العروس الحيثية لسيده في العام الخامس والثلاثين من حكمه بعد كم من السفارات والمراسلات ، أو ترتب لقاء مصري - حيثي بفلسطين تارة ثالثة . وأحيانا ما تشهد صراعاً قوياً مثلما تم بين خيتا وآشور للاستيلاء على قرقميش ، أو أن تقوم المدن الساحلية المساندة لخيتا بدعم حاكمها تودخالياس خليفة خاتوسيللي لغزو قبرص لضمان مطالبه من النحاس (٩٦) . وهي جميعها - فيما

نرى - مواقف جزئية وآنية غير إستراتيجية تعكس الحجم الحقيقي لتلك المدن على الساحة الدولية آنذاك .

وعلى أية حال فقد ظلت أوضاع الإقليم السوري مستقرة وفق التنظيم المصري إدريا وعسكريا قرابة نصف قرن حتى تولى مرنبتاح خلفا لوالده ، إذ أدت المتغيرات في موازين القوى بالمنطقة المواكبة لنهاية الأسرة التاسعة عشرة وقيام العشرين إلى ضرورة استئناف العمل العسكري . ففي ضوء النزعة التقليدية لحكام المدن السورية بالتمرد عند تغيير السلطة ، اضطر مرنبتاح - ولما ينقض من عهده خمس سنوات - إلى إنفاذ حملة أخضع فيها مدن عسقلان وشكيم وجازر وينعم فضلا عن توكيد العلاقة بالساحل الفينيقي لاسيما أوجاريت التي عثر فيها على سيف يحمل اسمه . ثم يعود أدراجه جنوبا للداخل ليقطع دابر قبائل العبرانيين ، المشار لهم بالعلامة الهيروغليفية دون المدينة في لوحته الشهرية بالمتحف المصري (رقم C.G.٣٤٠٢٥) وفي معبده الجنزى بالقرنة . كما أدب شاسو جنوبي كنعان وسيناء مخضعا بذلك كل منطقة كنعان وخارو[٩٧] .

والواقع فإن ذكر إسرائيل في عهد مرنبتاح قد طرح قضية وجودهم في المنطقة بداية ثم ما ارتبط بها في موضوع الخروج من خلال عدد من التساؤلات . إذ هل كان تجمعهم في إطار منطقة كنعان أم خارجها جغرافيا؟ ، وإن كانت الأولى فهل تجمعوا في المناطق المرتفعة أم أن ما استخدموه من أسلحة وأدوات للحركة كالعجلة يرتبط بالأراضي السهلية والمنبسطة بما يجعل تجمعهم أوقع بإقليم خارو؟ . أم أنهم أصلا نتاج إحدى موجات الهجرة الآرامية السامية القادمة من صحراء العرب نحو كنعان؟ . ثم هل كان وجودهم في مصر للعمل في مدينة بر - رعمسيس بحكم عدم صلاحيتهم للزراعة لكونهم رعاة ، في حين كان خروجهم محصلة لتفاعلات دينية واجتماعية واقتصادية؟ . وهل تم ذلك الخروج على عهد مرنبتاح أم والده أم قبل ذلك بكثير؟ . وهل ما تعارف عليه المختصون بذكر قوم إسرائيل في لوحة مرنبتاح حقيقي ، أم أن القراءة المقصودة هنا

هي سهل يزريل (يسرير : جزريل ؛ مرج بن عامر شمال شرق جبل الكرمل) ، لاسيما أن اللفظة قد ذكرت في التوراة بعد مرنبتاح بحوالي أربعة قرون في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد؟ . وأخيرا كيف السبيل علميا للتوفيق بين كل هذه الأطروحات وبين ما جاء في الكتاب المقدس ثم في القرآن الكريم؟[٩٨] . إذ إننا بقدر تيقننا بمسألة الخروج تاريخيا وإيمانيا ، بقدر تيقننا أيضا أن أية وجهة نظر ترتبط بها إنما هي في النهاية اجتهاد لا يرقى لمرتبة اليقين ما افتقدنا الدليل الأثري والعلمي الدامغ .

كذلك فقد ارتبط بعهد مرنبتاح إرهاصات انهيار دولة خيتا التي كانت مؤذنة بأفول الإمبراطوريات الكبرى بالمنطقة وقيام ممالك صغرى على أنقاضها . من ذلك ظروف خيتا الداخلية سياسيا واقتصاديا ممثلة في البداية الأولى لظهور شعوب البحر بالمنطقة مبتدئين بالأناضول وساحل المتوسط الشرقي فضلا عن حدود مصر الغربية بعد ذلك . حتى إن البعض يعزو حملة العام الخامس لمرنبتاح لدحر هذه الجماعات . بيد أنه لا يمكننا أن نعزو الانهيار الحيثي لهذه الجماعات ، إذ بفرض وجودها فعلا فالثابت أنها لم تمثل هجرة ضخمة ومنظمة . بل تم ذلك حوالي عام ١١٧٢ق .م . في اجتياح للساحل الكنعاني على عهد رعمسيس الثالث ، كما سيأتي ذكره في حينه[٩٩] .

بيد أنه يمكن القول إن مرنبتاح قد أكد لمصر الاستمرار السيادي بالإقليم السوري الذي حققه والده . حتى إذا ما تولى سيتي الثاني كانت الأمور قد استقرت له وهو ما يدل عليه عدد اللقى الأثرية التي تحمل اسمه في تل الفرعة وتل بيت مصريم ، فضلا عن مجموعة أخرى حملت اسمه مقرونا بتاوسرت في عكا وبيت شمس وتل دير العلا[١٠٠] .

أما ما يمكن أن يكون قد شكل خطراً كبيرا على خاتي بل وعلى منطقة الشرق القديم برمتها أكثر من شعوب البحر ، فهي تلك الموجات البشرية لأولئك الأقوام الذين كانوا يعيشون على هامش العالم المتمدن كالسوتو والأخلامو

والكاسكا في آسيا الصغرى شمال الرافدين . فضلا عن الآراميين من بعدهم بقليل في توسعهم شرقا نحو الرافدين وغربا تجاه الساحل الشرقي للبحر المتوسط . ليبدأ العالم القديم معهم مرحلة حضارية جديدة انتهى معها عصر البرونز B.A ومستهلا مرحلة جديدة تعرف اصطلاحا بعصر الحديد Iron Age[١٠١] .

أما شعوب البحر فقد أسفرت هجماتهم عن وجهها منذ «الأسرة العشرين» إبان عهد رعمسيس الثالث . ففي الوقت الذي كان يواجه فيه غالبا تحالف فئة منهم مع الليبيين وتهديدهم مصر غربا في العام الخامس من عهده ، كانت مجموعات أخر منهم من بحر إيجة قد تجاوزت في اجتياحها قبرص وخيتا إلى مناطق كيزاواندا وأروازا . ومنها إلى إقليم أمورو حيث قضت على أهم مدنه مثل ألالاخ وأجاريت وقطنة ، متجهة إلى كنعان لتجتاح مدن الإقليم السوري التي لم يصمد منها سوى مجدو وحازور[١٠٢] . وذلك في موجات متتالية لمجموعات مختلفة منهم تحالفت فيما بينها وهي البلست والثكر والشكلش والشردن والدانون والوشوش ، حيث كانت تنتقل بعربات تجرها الثيران حاملة نساءهم وأطفالهم . وهو ما يحمل على الظن عند البعض أن تكون هجرات استيطانية من شعوب ليست برعوية بحال من الأحوال ، بل هم مزارعون بحكم أدواتهم وهدف هجراتهم . في حين أن الدعم البحري لاجتياحهم المدن الساحلية قد يجعلنا نستعير تعبير «البدو البحريين» لإطلاقه عليهم تشبيها للبيئة البحرية الطاردة هنا بالبيئة الصحراوية[١٠٣] .

ولقد تعامل رعمسيس الثالث مع هذا الزحف مقدرا لخطره البعيد الذي كان يمكن أن يأتي على الأخضر واليابس لو أخذ مداه مثلما الحال في المناطق السورية . ومن ثم فقد يمم العاهل المصري وجهه في العام الثامن من حكمه صوب فلسطين معتمدا على إعاقة الحاميات المصرية لتقدمهم بينما تكفل الجيش بهم برا ، في حين حالت البحرية دون توغل سفنهم عبر فروع الدلتا . فكان

تشتتهم بددا وقطع دابرهم هو النتاج الطبيعي لتلك الخطة المحكمة ، حتى إنه لم يبق منهم بالمنطقة سوى البلست الذين أسسوا المدن الفلسطينية الخمس (غزة وعسقلان ، وأشدود وجبت وعفرون) فضلا عن الثكر الذين استقروا بمنطقة الدر(١٠٤) . أما الشكلش فانتقلوا لصقلية والشردان لشمال الساحل الفينيقي ومنه لسردينيا والدانون لقبرص ، في حين لم يعد للبقية منهم أي ذكر(١٠٥) .

ومن عجب أن النشاط العسكري لرعمسيس الثالث المسجل بمعبد مدينة هابو وبردية هاريس قد تضمن في المصدر الأول غزوه لسوريا وأمورو وخاتي ، كأمر تقليدي بلا مدلول سياسي . إذ إن بردية هاريس لم تشر لأية حرب له في سوريا ؛ اللهم إلا إذا كان الأمر يتعلق بتعقب وقائي لفلول شعوب البحر أو لحملته ضد الأدوميين ، وهو ما تمثله غالبا مناظر القتال الخاصة به الملحقة بمعبد موت بالكرنك(١٠٦) . إذ إن المتوقع - فيما نرى للتوفيق بين المصادر المتاحة - أن يحدث تعقب فلول شعوب البحر نوعا من الاضطراب بالمنطقة ككل وبما يفسر ذلك العمل العسكري الأخير .

وفيما يتعلق بهذه النقطة الأخيرة ، يمكن اعتبار الحملة على آدوم مستقر بدو الشاسو والمرادف لوجود بني إسرائيل في المنطقة بعيد الخروج . حيث مثلوا مع نشأة المدن الفلسطينية إحدى علامات عصر الحديد ، في حين كانت المدن الكنعانية تفقد دورها الحيوي بالمنطقة الذي تواكب مع تقلص الدور المصري التقليدي على المسرح السياسي بها(١٠٧) .

وهذا الوضع الأخير إنما يرجع بالنسبة لمصر لما اعتراها من أوضاع داخلية منذ نهاية عهد رعمسيس الثالث وحتى انتهاء عصر الرعامسة ، أي قرابة قرن من الزمان . وإن استمرت بالطبع العلاقات ذات المستوى الإداري حتى عهد رعمسيس الرابع ، بما كفل لمندوبي مصر الحصول على حاجاتها من المواد الأساسية مثل الحبوب من شمال النقب أو النحاس من مناجم تمنة أو تحصيل الضرائب المعتادة من بعض هذه المدن في الجزء الكنعاني على الأكثر . في حين

اكتنف الغموض العلاقات السياسية بين مصر والمدن السورية حتى إن السفارات بين الجانبين قد انقطعت تماما إبان تلك الفترة(١٠٩) .

ومن ثم فقد عادت حدود مصر الشرقية لتتوافق مع ذلك الخط الممتد بجملة تحصيناته بين البحرين المتوسط والأحمر ، ولتمثل قصة ون آمون وما بها من إشارات كتابا مفتوحا يلخص بتركيز الوضع برمته من حيث استيطان شعوب البحر بمدن كنعان . فقد كانت جبيل مقصده لأجل الحصول على خشب الأرز ، لذا فقد اضطر للمرور على الدر مستقر الثكر ومنها لأبعد شمالا حيث بقايا الشردن من ساكني عكا وسهل جزريل وبيسان في الداخل . ويبدو أن المستوطنين الجدد كانوا متحكمين في الحركة التجارية لسواحل منطقة شرق المتوسط تماما ، بما عقدوه من اتفاقيات مع المدن - الدولة التي أسسها الفينيقون في صيدا وصور . وهو ما يفسر تسيير الثكر لعشرة سفن لتصاحب ون - آمون لجبيل ، وتعنت حاكم جبيل نفسه كانعكاس لحجم النفوذ المصري المتلاشي لمصلحة أصحاب النفوذ الجدد بالمنطقة . إذ مارس هؤلاء دور الوسيط التجاري بين مصر وآشور في استقلالية تامة عنهما(١١٠) .

والواقع أن قصة ون آمون لم تعكس فقط الوضع الخارجي لمصر ، بل إن حرصه على تأكيد الولاء لسمندس وحريحور قد عكس بما لا يدع مجالا للشك ما آل إليه الوضع الداخلي في أخريات عهد رعمسيس الحادي عشر كمدخل **لعصر الانتقال الثالث** . إذ خضعت مصر فعليا لسطوة أسرتين إحداهما بالدلتا في تانيس (أو تل بسطة) بزعامة سمندس ، والتي ترجع غالبا لأصول ليبية بحكم بروز دور العنصر الليبي في المجتمع المصري منذ عهد رعمسيس(١١١) . أما الأخرى فهي أسرة كبير الكهنة حريحور الذي نجح بخلفيته العسكرية في القضاء على تمرد بانحسي حاكم الجنوب ، ليتمكن في بسط نفوذه على جنوب مصر من طيبة حتى الحيبة (الإقليم الثامن عشر لمصر العليا) . حيث صاغت العلاقات بين الأسرتين سياسة مصر في الداخل والخارج مع نهاية الألف الثاني قبل الميلاد

وبداية الأول منه ، وإن مثلتا سويا أسرة حاكمة واحدة هي **الأسرة الحادية والعشرون**[١١٢] .

والواقع فإن رصد الأوضاع في إقليم كنعان إنما يشير إلى نجاح القبائل الأمورية بما فيها من عناصر عبرانية في تحسين وضعها بالمنطقة بتأسيس كيان سياسي ، بعد مواجهة مع بعض مدن المنطقة مثل أريحا ولكيش وحازور[١١٣] . وقد حاول هذا الكيان مد نفوذه على حساب المناطق المحيطة به خلال عصر القضاة ثم عهدي ملكيها داود وسليمان عليهما السلام . بيد أن المدن الفلسطينية التي استقر أهلوها بالمنطقة وأسسوا كيانات سياسية تحكمت في اقتصاد المنطقة ، قد وقفت عقبة كؤوداً في سبيل ذلك . نظراً لمحاولة النبي الملك سليمان بسط نفوذ دولته على التجارة المتداولة من منطقة الفرات حتى خليج العقبة[١١٤] .

ونظراً لأن العلاقة المصرية السورية كانت تمثل لأي حاكم خيارا إستراتيجيا لا مناص من تحقيقه سواء سلما أو حربا ، فقد تضمنت المصادر التاريخية واقعتين ؛ ترجع أولاهما لعهد سي آمون (≠ ٩٧٩ - ٩٦٠ق .م) ومعاصره الملك سليمان (≠ ٩٧٠ - ٩٣٠ق .م) . إذ قاد سي آمون حملة لجنوب غرب فلسطين وصلت حتى جازر التي كانت تمثل منطقة حاجزة بين دولة إسرائيل والمدن الفلسطينية ، حيث نجح في دحرها وتقديمها هدية الزواج لسليمان الذي تزوج من ابنة سي آمون . وقد حقق هذا الأخير بحملته تلك هدفين ؛ الأول هو القضاء على منافسة المدن الفلسطينية التجارية لتانيس مركز مصر التجاري مع المدن الفينيقية . والثاني يرتبط بالأول من حيث ضمان تأمين التجارة المصرية - السورية بالتحالف مع الملك سليمان ، الذي سيضمن هو الآخر بهذا التحالف والمصاهرة تأمين الحد الجنوبي لدولته من أي خطر مصري محتمل[١١٥] .

أما الواقعة الثانية في هذا الصدد فترجع لما بعد انتقال العرش لششنق الأول (≠ ٩٤٥-٩٢٤ق .م) كامتداد لحكم الأسرة الليبية بتأسيس **«الأسرة الثانية والعشرين»** ، وهو الذي أعاد لمصر وحدتها السياسية . إذ تميزت سياسته الشرقية

بالتباين ، ففي الوقت الذي كان يتحالف فيه مع حاكم جبيل أبي بعل لما فيه صالح مصر السياسي والاقتصادي ، كان يرى من ذات المنظور وبخلاف رؤية سي آمون أن إسرائيل لا يمكن أن تكون حليفة لمصر لأنها تمثل عائقا لا يستهان به أمام ازدهار العلاقات المصرية السورية ويقلل من الثروة المصرية لحساب مملكة سليمان . ومن ثم فقد واتته الفرصة بانشقاق يربعام على سليمان مدعوما بعدد من القبائل الإسرائيلية التي اعتبرت هذه النكسة السياسية غضبة إلهية بسبب زواج سليمان من الأميرة المصرية ، على أساس أن الزواج من أجنبية كان مكروها لديهم ثم أصبح محرما شرعا . وقد رحب ششنق باتخاذ يربعام لمصر كمنفى اختياري ، حتى إذا ما قضى سليمان نحبه عاد يربعام ليقتسم المملكة مع رحبعام بن سليمان(١١٦) .

فقد دانت لهذا الأخير مملكة يهوذا في القسم الجنوبي من المملكة الموحدة الذي أبقى على عاصمتها ، والثانية مملكة إسرائيل التي دانت إلى يربعام متخذا من شكيم عاصمة لها . ومن ثم أصبحت المملكة الجنوبية بحكم المساندة المصرية ليربعام عدوة لها ، بحيث ما إن استشعر ششنق بحركة القبائل جنوب فلسطين على الحدود المصرية حتى اعتبره تهديدا تقوم مملكة يهوذا بالتحريض عليه . ليمتلك بذلك المبرر الذي زحف بمقتضاه على أورشليم ليقضي على تلك الأفعال العدوانية ، حسب وصف لوحة النصر الخاصة به في الكرنك . وقد تحقق له مراده عام ٩٥٢ق .م . عندما دخل أورشليم واستولى على خزائن معبدها الرئيسي بعد تسليم رحبعام له تجنبا لأي تخريب قد يلحق بالعاصمة ومعبدها . أما يربعام حليف الأمس وعدو اليوم ؛ فما إن بلغه زحف ششنق نحو شكيم حتى فر هاربا ، مما يسر على العاهل المصري إخضاع إسرائيل هي الأخرى . ثم يقفل ششنق عائدا لمصر ليخضع في طريق العودة مدن مجدو ومجاوراتها بسهل جزريل ، ثم ليقضي نحبه بعد عام من هذا الزحف المظفر الذي أعاد لمصر بعض وميض وهجها الإمبراطوري على عهد أسلافه المحاربين منذ النصف الثاني من الألف

الثاني قبل الميلاد[١١٧] . مما يجعل لحملاته أهميتها التاريخية ، ويجعل لها قيمتها العلمية برغم وقوعها خارج الإطار الزمني من هذا البحث لإكمالها ملامح العلاقات السياسية العسكرية بين مصر وسورية في الألف الثاني قبل الميلاد .

هوامش المبحث الأول

(١) Kempinski, A, The Middle Bronze Age, (1992), 159-61; Mazar, A., Archaeology of the Lond of the Bible, (1992), 186.

(٢) Hall, H. R., The Ancient History of the Near East, 146; CAH3 1/2, 485 - 6 .

(٣) Ibid, 535 - 6 .

(٤) Kemp, B., Ancient Egypt: A Social History (1983), 143;CAH3 1/2, 536 - 7; ANET, 444 - 6.

(٥) CAH^3 1/2, 537 - 8.

(٦) Roaf, M, Cultural Atlas of Mesopotamia (1990), 103.

(٧) عن قصة سنوهى ؛ راجع : ANET, 18 - 22; Simpson, W. K., The Literature of Ancient Egypt, 57-74; Lichtheim, M., Ancient Egyption Literature 1 (1975), 222 - 33;

لالويت ، ك : نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة ، ٣١٣ - ٣٢٧ .

(٨) Green, M., CDÊ 58 (1983), passim; Faulkner, R.O., JEA 39 (1953), 40 - 1 .

(٩) Simpson, W, K., op. cit., 63, 58, 60.

(١٠) ARM I, 24; Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 40 - 1.

(١١) Kitchen, K. A., BSFE 128 (1993), 17.

(١٢) Newberry, E., Beni Hassan I, pls. 30 - 1.

(١٣) Goedicke, H., JARCE 21 (1984), 210; CAH^3 1/2, 542; cf, Winlock, H. The Rise and Fall of the Middle Kingdom (1947), 93.

يعزو البعض لتلك الفترة مجيء سيدنا إبراهيم عليه السلام لمصر ، ضمن إحدى وفادات بدو آسيا إلى مصر ؛ انظر : أحمد عبدالحميد يوسف : مصر في القرآن والسنة ، ٩ - ٢٦ .

(١٤) Cerny, J., Ar. Or. 7 (1935), 384 - 9; Beit - Arieh, I., Canaanites and Egyptians at Serabit El-Khadim, 65 - 6.

(١٥) Kemp, B., Ancient Egypt: A Social History (1983), 142.

(١٦) CAH^3 1/2, 538, 555, 543; Green, M., CdÊ 58 (1983), 50.

(١٧) محمد عبدالحليم نورالدين : تاريخ وحضارة مصر القديمة ، ٩٥ .

Kemp, B., Ancient Egypt: A Social History, (1983), 147.

(١٨) Van Seters, J., The Hyksos (1996), 93-5; Oren, E. D., The "Ways of Horus" in North Sinai (1987), 69 ff.

(١٩) Giveon, R., The Impact of Egypt on Canaan in the Middle Bronze Age, 23 - 40; CAH^3 1/2,

245-8.

(٢٠) Posener, G., Princes et pays d'Asie et du Nubit (1940), passim; Kempinki, A, The Middle Bronze Age (1992), 159 ff.

(٢١) ANET, 229; Van Seters, J., The Hyksos (1966), 75 - 7; Grimal, N., A History of Ancient Egypt, 165 - 6; Munn-Rankin, J. M., Iraq 18 (1956), 68 ff,; Culican, W., The First Merchant Ventures (1966), 22 - 3.

(٢٢) Van Seters, J., op. cit., 82 - 3; ANET, 553 - 4; Kemp, B., op. cit., 145; Green. M., CdÊ 58 (1983), 49.

(٢٣) Van Seters, J., The Hyksos (1966), 101 - 3.

(٢٤) Pirenne, J., Histoire de la Civilization de L'Egypte Ancienne (1962), 131 - 8. Giveon, R., The Impact of Egypt on Canaan in the Middle Bronze Age, 23 - 39.

(٢٥) عن أصل الهكسوس راجع :

Van Seters, J., op. cit., Ch. 13; Roaf, M., Cultural Atlas of Mesopotamia, 108; Wilson, J., The Culture of Ancient Egypt (1951), 155; Millard, A., The Canaanites (1973), 39; Roux, G., Ancient Iraq, 208 - 223.

(٢٦) Moorey, P., World Archaeology 18 (1986), 197 - 212; Schulman, A., JSSEA 10 (1980), 105 - 18; Redford, D,B., Egypt, Canaan and Israel in Ancient Times, (1992), 95-7; Beitack, M., Canaanites in the Eastern Nile Delta (1987), 52.

(٢٧) Kitchen, K. A., Acta Archaeologica (1998), 8-11; Idem., OIP (1998), 2-3; Montet, P., Kêmi 4 (1933), 191-215; Van Seters, J., The Hyksos (1966), 160 - 1.

تجدر الإشارة إلى محاولة البعض الربط بين قضيتين وبين عصر الهكسوس الأولى نسبة ما ورد في «تحذيرات إيبو-ور» لهذا العصر على عكس المألوف ، وهي قضية لا تزال مطروحة على بساط البحث ، كموضوع للماجستير بجامعة الإسكندرية ، والثانية مجيء سيدنا يوسف في هذا العصر والذي لا يدخل في مجال هذا العرض ، راجع : أحمد عبدالحميد يوسف : مصر في القرآن والسنة ، ٢٧ - ٥٦ .

(٢٨) Steindorff, G.,;Seele, K., When Egypt Ruled the East (1971), 25-6;Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 101.

(٢٩) Beitack, M., Avaris and Pi-Ramesse (1981), passim; Van Seters, J., op. cit, Ch. 9.

(٣٠) Simpson, W., CDÊ 34 (1959), 237.

(٣١) Van Seters, J., The Hyksos (1966), 167-8; cf., El-Saady, H., SAK25 (1998), 299.

(٣٢) Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 120-1;Bienkowski, P., PEQ (1987), 50-4.

(٣٣) Redford, D,B., Akhenate (1989), 208; Lichtheim, M., Ancient Egyption Literature I, (1975), 234 no. 7;Wilson, J., The Culture fo Ancient Egypt (1951), 160 -1; Beitack, M., Canaanites in the Eastern Nile Delta (1987), 41 - 56.

(٣٤) عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم، ١٩٩ - ٢٠٣ ؛ وكذا :

Gardiner, A., JEA 5 (1918), 40 - 5;Gunn, B.; Gardiner, A., JEA 5 (1918), 45 - 7; Habachi, L., ASAE 53 (1956), 195 - 202; Urk.IV, I, 1 - 11; BAR II § § 1- 13.

(٣٥) Redford, D.B., Egypt. Canaan and Israel (1992), 129;BAR II, § 20.

(٣٦) Goedicke, H., JSSEA 10 (1979 - 1980), 209 - 12.

(٣٧) Weinstein, J., Levant 23 (1991), 106 - 7.

(٣٨) Hoffmeier, J.K., Levant 21 (1989), 188;Idem., Levant 21 (1991), 120; Weinstein, J., Levant 23 (1991), 108.

أما عن الإمبراطورية والتوسع في الدولة الحديثة ؛ انظر :

Kemp, B.J., Imperialism and Empire in New Kingdom Egypt, (1978).

(٣٩) Roaf, M., Cultural Atlas of Mesopotamia, 132.

(٤٠) Redford, D.B., op. cit., 130 - 6; LA I. 130; Simons, J., Handbook for the Study of Egyptian Topographical Lists (1937), nos. XII - XIV.

(٤١) Urk. IV, 184; Breasted, J.H., ZAS 39 (1901), 52;Kemp, B.J., Ancient Egypt: Anatomy of a Civilization (1991), 197 - 200.

(٤٢) Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 140 - 6.

(٤٣) Steindorff, G.; Seele, K., When Egypt Ruled the East (1971), 35 - 6; Redford, D.B., JSSEA 10 (1979), 68 - 9; Macqueen, J., The Hittites (1986), 36 - 7; PM^2 1/1, 161 (5).

(٤٤) BAR II. § 123 - 5; Giveon, R., Les Bèdouins des shôsou des Documents Egyptiens (1971), 9-10.

(٤٥) Urk. IV, 372; Pm^2 1/2, 345 (11).

عن عهد حتشبسوت راجع :

Ratie, S., La Reine Hatshepsut: Saurces et problèmes, Leyden (1979).

(٤٦) Roaf, M., Cultural Atlas of Mesopotamia, 132; Redford, D.B., Akhenaten (1989), 18.

(٤٧) Kitchen, K. A., Acta Archaeologica (1998), 7-8; Idem., OIP (1998), 3.

(٤٨) Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 156.

(٤٩) Goedicke, H., JSSEA 10 (1979 -1980), 201 - 13.

(٥٠) ANET, 234 - 8; Urk. IV, 647; BAR II, § 415 - 37; Spalinger, A., Aspects of the Military Documents of the Ancient Egyptians (1982), 134 - 42.

(٥١) Redford, D.B., op. cit., 158; Idem., Akhenaten (1989), 18.

(٥٢) ANET, 240 - 1; BAR II, § 479 ff.; Cumming, B., Egyptian Historical Records of The Later Eighteenth Dynasty (1982), 2 - 3, 8 - 9.

(٥٣) Olmstead, A. T., JEA 8 (1922), 227.

(٥٤) Kitchen, K.A., SAM 7 (1992), 26 - 5; Astour, M., JNES 22 (1963); 220 - 39; Gonen, R., The Late Bronze Age (1992), 212 - 3.

(٥٥) Urk, IV, 668, 771;BAR II, §§ 446, 484 - 5; Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 160 no. 150.

(٥٦) عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، ٢١٩ ؛

Urk. IV, 690; BAR 11, 170; b.c. § 467.

(٥٧) Mohammad, M. A., ASAE56 (1940); 106 - 19; Gonen, R., op. cit. (1992), 213;pirenne. J., Histoire de la Civilizatio de L'egypte Ancienne (1962), 199 ff,

(٥٨) Redford, D.B., op. cit. (1992), 162;

عن عهد أمنحتب الثاني ؛ راجع :

Manuelian, P., Studies in the Reign of Amenophis II, Hildesheim (1987),

(٥٩) ANET, 245 - 8 BAR 11. §§ 780 - 798 A;Zayed, A, Bd;E97 (1985), 5 - 17; Spalinger, A., Aspects of the Military Documents (1982), 142 - 52.

(٦٠) Cumming, B., Egyptian Historical Records (1982), 33: 1309, 39:1326; Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 165.

(٦١) Macqueen, J., The Hittites and their Contemporaries in Asia Minor, (1986), 45 - 6;Gonen, R., The Late Bronze Age (1992), 213.

(٦٢) Redford, D.B., Akhenaten (1989), 19;Schulman, A., JNES 38 (1979), 189 no. 54.

عن عهد تحوتمس الرابع ؛ راجع :

Bryan, B., The Reign of Thutmosis IV, Cleveland (1991)

(٦٣) Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 165-6;BAR II, § § 816 - 822.

(٦٤) عن رسائل العمارنة رجع :

Knudzton, J, A., Die El-Amarna Taflen, Leipzing (1915).

Moran, L., Les Lettres D'El-Amarna, paris (1987);

وعن الترجمة الإنجليزية له ؛ راجع :

Moran, L., The Amarna Lettres, Baltimore & London (1992).

(٦٥) Schmidt, H., RdE 44 (1993), 157; Davies, B. G., Egyptian Historical Records of The Later Eighteenth Dynasty IV (1992). 38: 1741, 48:1706.

(٦٦) ANET, 487; EA 312.

(٦٧) حسن محمد محيي الدين السعدي : الزواج السياسي عند حكام العراق القديم (١٩٩٨) ، ٢٠ - ٢٥ ؛

EA 17 - 29; Kitchen, K. A., Amenhotep III and Mesopotamia (1997), 7 - 10; Schmidt, H., Rde 44 (1993), 159 - 60

عن عهد أمنحتب الثالث راجع :

Bryan, b., & Kozloff, A., Egypts dazzling Sun: Amenophis III and his World, Cleveland (1992).

E. Cline (ed) Studies on the Reign of Amenophis III, Wisconsin (Wisconsin Univ. press), (1997).

(٦٨) Macqueen, J., The Hittites (1986), 46; Gumey, O.R., Copenhagen Studies in Assyriology 7 (1979); 151 - 65.

(٦٩) Kitchen, K. A., Suppiluliuma and the Amama Pharaohs (1962), 34 - 5; Mumane, W., The Rood to Kadesh (1985), 178 - 183.

(٧٠) حسن محمد محيي الدين السعدي : الزواج السياسي ، ٢٦ - ٢٧ ؛

Luckinbill, D., ARAB I, (1926), § §; 58; Saggs, H. W., The Might that was Assyria (1984), 41; Redford. D.b., Egypet, Canaan and Israel (1992) 169 - 77.

(٧١) Davies, B. G., Egyptian Historical Records, 15:1681; Steindorff, G.;Seele, K., When Egypt Ruled the East (1971), 81;Redford, D.B., Akhenaten (1989), 43; Johnson, W.R., JEA 82 (1996), 65 - 82.

(٧٢) Kitchen, K. A., op. cit., 12 - 3; Ghonen. R., op. cit., 214.

(٧٣) Liverani, M., pharaoh's Letters to Rib-Adda, MANE 1/5 (1979), 3 - 13; EA 70, 73, 82, 86.

(٧٤) Liverani, M., Social Implications in the Politics of Abdi-Asirta of Amurru, MANE 1/5 (1979).

عن «العابيرو» و «الخابيرو» ؛ راجع : حسن ظاظا : الشخصية الإسرائيلية : ٢٣ - ٢٧ .

(٧٥) Oren, E. D., The "Ways of Horus" in North Sinai (1987), 69 - 70; Dothan, T., The Impact of Egypt on Canaan during the 18th, and 19 th, Dynasties (1987), 121 - 22; Kitchen, K. A., Jerusalem in Ancient Egyptian Documentation;10.

(٧٦) CAH[3] 11/2, 84; Redford, D.B., op. cit., 177, 167 - 8.

(٧٧) Murnane, W., The Road to Kadesh (1985), 186 - 8; Ea 136 - 8, 142, 162.

(٧٨) EA 98; Murnane, W., op. cit., 188 - 92; CAH^3 11/2, loc. cit;

عن ترتيب الأحداث منذ ظهور عزيزو حتى نهاية عصر العمارنة ؛ راجع :

Redford, D.B., History and Chronology of the Eighteenth Dynasty of Egypt, (1967), 216 - 225.

(٧٩) CAH^3 11/2, 85; ANET 250 - 51; PM2 I/1, 76 - 7 (6,7,11).

(٨٠) Kitchen, K. A., Suppiluliuma and the Amarna pharaohs (1962), 51; Murnane, W., op. cit., 195.

(٨١) Spalinger, A., BES I (1979), 55 - 89; Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel in Ancient Times (1992), 178.

(٨٢) Murnane, W., The Road to Kadesh (1985), 194; redford, D.B., Akhenaten (1989) 217 - 8; Kemp, B.J., Ancient Egypt: Anatomy of a Civilization (1991), 228 - 9; Kadry, A., Officers and Officials in the New Kingdom, Studia Aegyptiaca VIII (1982), passim.

(٨٣) Macqueen, J., The Hittites and their Contemporaries (1986), 47 - 8.

(٨٤) KRI I; RITA I, 6 - 25; RITANC 1, 5; Spalinger, A., JARCE 16 (1979) passim, El-Saady, H., SAK 19 (1992), 285 - 94.

عن مناظر الحروب راجع :

The Epigraphic Survery, The Battle Reliefs of King Sety I. (1986); Gaball, A. G., Narrative in Egyption Art, Mainz (1976).

(٨٥) Ahituv, S., IEJ 46 (1996), 219 - 24; Oren, E D., The "Ways of Horus" in North Sinai (1987), 69 ff; Schulman, A. A., Military Rank, Title and Organization in the Egyption New Kingdom, MAS 6 (1964), 53 - 6.

(٨٦) KRI I. 27 - 9; Simons, J., Handbook for the Study of Egyptian Topographical Lists Relating to Western Asia (1937), 52 - 63, 137 - 47.

(٨٧) Macqueen, J., The Hittites and their Contemporaries (1986), 48.

(٨٨) Hawkins, D.J., Karkamis, ALA V (1986), 88;Murnane, W., op. cit., 54,83.

(٨٩) Spalinger, A., SAK 9 (1981), 321 - 2; Spalinger, A., JARCE 16 (1979) 42; KRI 11, 228; RITA 11, 81.

(٩٠) KRI II; RITA II, 1 - 2; RITANC II, 1 - 3; Kitchen, K. A., Pharaoh Triumphant: The Life and Times of Ramesses 11, (1982), 51; Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israle in Ancient Times (1992), 183.

(٩١) KRI 11, 2 - 26; RITANC 11, § 5 - 46; Spalinger, A., Aspects of the Military Documents of the Ancient Egyptians (1982), 153 ff.

(٩٢) Kitchen, K. A., Pharaoh Triumphant (1982), 53 - 63; Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 183 - 5; Steglitz, R., JNES 50 (1991), 47.

(٩٣) CAH[3] 11/2, 228 - 9; K. A.., JEA 50 (1964); 47 - 70; Simons, J., Egyptian Topographical Lists (19737), 64 - 77.

(٩٤) KRI 11, 266; RITA 11, 79 - 85; RITANC 11, 213 ff; Spalinger, A., SAK 9 (1981), 321 ff; Ockinga, B., CdÊ 62 (1987), 38 - 48; Gonen, R., The Late Bronze Age (1992), 215.

(٩٥) Kuhrt, B.E., The Ancient Near East I (1995), 207 - 9, 214 - 17, 263; Macqueen, J., The Hittites, 48 - 9.

(٩٦) Ibid, 50; Kitchen, K. A., pharaoh Triumphant (1982), 73; El-Saady, H., MDAIK 55 (1999) 2-3.

(٩٧) KRI IV, 1 - 24; 33 - 41; Stager, L., Merenptah, Israel and Sea peoples, Eretz-Israel 8 (1985), 61; Yurco, F., JARCE 23 (1986), 189, 209 - 10; Rendsburg, G., JSSEA 11 (1981), 171-2.

(٩٨) Ahlstrom, G. W., & Edelman, D., JNES 44 (1985), 59 - 61; Stager, L., loc. cit.; Gray, J., The Canaanites (1964), 50; CAH[3] II/2, 234; Kitchen, K. A., The Exodus, ABD 2 (1992), 700 - 7, esp. 702 - 3; Malamat, A., Bib. A. B., 8 (1982), 27; Yurco, F., Bib., A. R., 16 (1990), 20 - 38;Roaf, M., Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East, (1990); 146;

أطلس الدارسين للكتاب المقدس : خريطة ٥ ، ٦ ؛ أحمد عبدالحميد يوسف : مصر في القرآن والسنة ، ٥٧ - ١٣٥ ؛ رمضان عبده علي السيد : تاريخ مصر القديمة ، ١٧٥ - ١٨٥ ؛ عبدالمنعم عبدالحليم سيد : من الإعجاز التاريخي في القرآن الكريم : (١٩٩١) ، ٢٥٠ - ٢٦٤ .

(٩٩) Stager, L., Eretz-Israel 8 (1985), 62; Yurco, F.m JARCE 23 (1986), 214; Macqueen, J., The Hittites, 50 - 2; cf. Gonen, R., The Late Bronze Age, 215; Bittel, K., Hattusha (1976); Wainright, G. A., JEA 46 (1960), 24 ff.

(١٠٠) KARI IV, 242; 341, 351; Yurco, F., JARCE 23 (1986), 214.

(١٠١) Tadmor, H., The Decline of Empires in Western Asia (1970), 3 - 7; Wainright, G., A., JEA 25 (1939), 148 - 53; Olmstead, A. T., JEA 8 (1922), 232; Gonen, R., op. cit., 215; Roaf, M., op. cit., 146 - 7.

(١٠٢) KRI V, 39 - 40; Harden, D., The Phoenicians (1963), 50; Tadmor, H., The Decline of Empires in Western Asia; (1979), 1.

عن عهد رعمسيس الثالث ؛ راجع :

Grandet, P., Ramses III: Historie D'Un Regne, Paris (1993).

(١٠٣) CAH[3] 11/2 242; Sandars, N. K., The Sea peoples (1985), 123; Dothan, T., The Philistines and their Material culture (1982), 289 ff; Herm, G., The Phoenicians, London (1975),16.

(١٠٤) KRI V, 40 - 1; BAR IV § § 59 - 68, 304; Sandars, N. K., op. cit., 120 - 31; Finkelestein, I., IEJ 46 (1996), 225 - 42, fig, 1 - 2.

(١٠٥) CAH[3] 11/2, 243; Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 256; Steindorff, G.; Seele, K., When Egypt Ruled the East (1971), 254;

أطلس الدارسين للكتاب المقدس : خريطة ٧ .

(١٠٦) CAH[3] 11/2, 243 - 4; BAR IV, § 404; Simons, J., Egyptian Topographical Lists Relating to Western Asia (1937), 77 - 88.

(١٠٧) Kitchen, K. A., The Egyptian Evidence on Ancient Jordan (1992), 27; Idem, Egyptians and Hebrews, 23 - 4; Mazar, A., Archaeology of the Land of the Bible (1992), 262 - 4, 281 - 96; Redford, D.B., op. cit., 280; Weippert, M., Remarks on the History of Settlement in Southern Jordan during the Early Jron Age (1982), 153 - 5.

(١٠٨) CAH[3] II/2, 606 ff.; Cerny, J., Ar, Or. 6 (1933/34), 137 - 8.

(١٠٩) Peden, A. J., The Reign of Ramesses IV (1994), 18 - 20; CAH[3] II/2, 607; KRI VI, VII, passim; Kemp, B., Ancient Egypt (1983), 226 - 32; El-Saady, H., MDAIK 55 (1999), II.

(١١٠) CAH[3] 11/2 615; Kitchen, K. A., The Third Intermediate period in Egypt (1996), 267; Mazar, A., The Iron Age 1 (1992), 264; Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature 11, 228 - 9;

محمد الصغير غانم : التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ٢٥ - ٢٦ .

(١١١) Simpson, W. K., The Literature of Ancient Egypt (1973), 144; Kitchen, K. A., RdÊ 36 (1985), 117 - 9; Amer, A., JEA 71 (1985), 66 - 7.

(١١٢) CAH[3] 11/2, 643 - 57; Kitchen, K. A., The Third Intermediate Period, Ch. 16; Kemp, B., op, cit., 232 - 42; Leahy, A., Libyan Studies 16 (1985), 51 - 65.

(١١٣) NIV (Joshua 2:1); Keynon, K., Jericho (1993), 674; Garstang, J., & Garstang. J. B. E., The Story of Jericho (1948), 136 - 40; Bienkowski, P., PEQ (1987), 50 - 1; Yadin, Y., Transition from a Semi-Nomadic to a Sedentary Society in the Twelfth century B.C.E. (1979), 57 - 67.

(١١٤) Grollenberg, L H., The Shorter Atlas of The Bible (1983), 111 ff; Waterman, L., JNES 6

(1947), 161 - 3; Malamat, A., JNES 22 (1963), 1 - 17;

أطلس الدارسين للكتاب المقدس : خريطة ٧ - ١١ .

(١١٥) NIV (Kings 1, 9; 16); Kitchen, K. A., The Third Intermediate Period, 280 - 2; Millard, A., & Kitchen, K. A., Bib. A. R. 15 (1989), 21 - 34; Malamat, A., JNES 22 (1963), 10 - 17; Cohen, S., JANES 16 - 17 (1984 - 85), 10 - 7.

(١١٦) NIV (Kings 1, 11:26 - 40); Cohen, S., JANES 16 - 17 (1984 - 85), 37.

(١١٧) ANET 263 - 4; Kitchen, K. A., The Third Intermediate Period (1996), 293 - 300, fig, 2; Idem., Jerusalem in Ancient Egyptian Documentation, 15 - 6; Simons, J., Egyptian topographical Lists Relating to Western Asia (1937), 89 - 102.



(1947), 161 - 8; Malamat, A., INES 22 [illegible]

NIV (Kings 1. 9; 16); Kitchen, K. A., The Third Intermediate Period, 280 - 2; Millard, A. R. [illegible]

Kitchen, K. A., Bib. A. R. 15 (1989), [illegible] Malamat, A., INES 22 (1963), 10 - 17; Cohen, S. [illegible]

JANES 16 - 17 (1984 - 85), 104 7

NIV (Kings 1. 14: 25 - 40); Cohen, S., JANES 16 - 17 (1984 - 85), 37 [illegible]

ANET 263 - 4; Kitchen, K. A., The Third Intermediate Period (1996), 298 - 300, fig. 2; [illegible]

[illegible] Jerusalem in Ancient Egyptian [illegible] Simons, J., Egyptian [illegible]

Lists Relating to Western Asia (1937), 89 - [illegible]

المبحث الثاني
أضواء على العلاقات الاقتصادية ومظاهر التأثير الحضاري المتبادل

أولاً: العلاقات الاقتصادية.

ثانياً: مظاهر التأثير الحضاري المتبادل.

- هوامش المبحث الثاني.

أولاً: العلاقات الاقتصادية:

تحكمت عوامل عدة في اقتصاديات الشرق الأدنى القديم أهمها المعابد التي اعتبرت المنتج والمستهلك الأساسي للنشاط الاقتصادي في آن واحد. كما أصبح الإله المعبود بمنزلة الموجه الفعلي لذلك النشاط إذ كانت تخرج القوافل باسمه وتستجلب المتاجر لأجله، بما يجعله المهيمن على الأسواق والمسؤول عن رعاية التجارة. بيد أن العامل السياسي قد لعب دورا رئيسيا في توجيه النشاط الاقتصادي لمصلحة قوى دون أخر. في حين اقتصر دور العسكرية في تعزيز التوجه نحو السيطرة على منطقة ما أو استعادتها أو مد النفوذ السيادي لمجاوراتها لتحقيق مصلحة اقتصادية كانت أو سياسية. كما انعكس حجم إنتاج سلعة معينة أو احتكاره على أهمية بعض المناطق وتحديد بؤر الصراع الساخنة بين القوى المتصارعة. بما يجمل مبدأ الربط بين السياسة والاقتصاد كوجهين لعملة واحدة تنتظم مع غيرها من العوامل في إطار المنظور الإستراتيجي للقوى الدولية وتوجهاتها السياسية[1]. وهو ما تبدى واضحا في المبحث السابق، الذي من شأنه أن تستكمل صورته نظريا ملامح البعد الاقتصادي.

أما عمليا فقد اشتهر الإقليم السوري بثرائه الملحوظ، إذ كان يطلق عليه «بلاد كنعان ذات المنتجات السبع» كناية عن تعدد منتجاته. وعلى الرغم من افتقادنا لأرشيف تجاري يتضمن السلع المتبادلة بين مصر وسوريا إلا أن الشواهد الأثرية والنصية بمكنتها إلقاء الضوء عليها. فمنذ عصور ما قبل التاريخ والخشب يمثل سلعة أساسية ضمن الواردات المصرية، إذ زاد الطلب عليه لاسيما خشب الأرز والصنوبر في عصور الأسرات ليتواكب مع النهضة العمرانية المضطردة في الحضارة المصرية بشقيها الديني والدنيوي. كما صاحب هذه السلعة الحيوية أنواع مختلفة من الزيوت أهمها زيت خشب الأرز والمادة الصمغية المستخرجة من شجر الصنوبر والمستخدمة في التحنيط، إذ عثر على بقاياها في عدد من الآنية بجبانة الجيزة. وإلى جانب تلك السلع الأساسية هناك ما تناولناه في مقدمة

البحث والمبحث الأول وقد كانت معظم هذه الواردات من نصيب الطبقة الأرستقراطية[٢] .

وفي المقابل فقد اشتملت صادرات مصر لسوريا على الأواني الحجرية والنحاس والذهب والأحجار النفيسة أحيانا كاللازورد المستجلب من العراق وإيران ، فضلا عن منتجات النوبة من التوابل والأبنوس التي كانت مصر تستوردها وتعيد تصديرها . تماما مثلما كانت تفعل جبيل بالأواني المصرية بتصديرها لجزر بحر إيجة . والواقع فقد كانت مصر تصدر للمدن السورية المعادن مصنعة وليس خاما ، لاسيما النحاس المصنع على شكل أسلحة وأوان وأدوات بناء إذ واكب ثراء جبيل نهضة معمارية[٣] .

ولقد كانت العمليات التجارية تتم برا وبحرا ، فالطريق البري كان يمتد بمحاذاة البحر المتوسط عبر السهل الساحلي لكنعان التي مثلت وديانها الداخلية أهم طرق التجارة البرية . بما متع أهل المدن الواقعة على طرق التجارة بعوائد الوساطة التجارية (تجارة الترانزيت) . أما الطرق الثانوية فقد خدمت المناطق الداخلية حيث كان للحمار دوره الرئيسي في عملية النقل[٤] .

ولقد زادت وتنوعت التجارة المصري السورية كما وكيفا على عهد الدولة الوسطى . فقد أشار سنوهي إبان وجوده في منفاه إلى منتجات زراعية كالتين والعنب والنبيذ والعسل وزيت المورنجا والشعير والذرة وأصناف الفاكهة . ويرغم عدم وجود دلائل قوية تتعلق بحجم التجارة في المنتجات الغذائية ، إلا أن كثرة الأواني السورية التي عثر عليها خارجها من ناحية وقيام مصر بنقل السلع الغذائية للنوبة بما يشير لإمكان حدوثه بأماكن أخرى من ناحية ثانية ، قد يبعث على احتمال المتاجرة فيها بين مصر وسوريا ، لاسيما الحبوب التي كان يحكمها نظام المقايضة المباشر[٥] .

بيد أن استيراد الماشية واستقدام العنصر البشري قد مثلا معلمين رئيسيين

في تجارة تلك الفترة . فالماشية التي لفتت كميات قطعانها وأنواعها نظر سنوهي ، كانت إحدى العناصر الهامة للواردات السورية . إذ سجلت مقابر الأفراد في مير والبرشا على عهدي أمنمحات الثاني وسنوسرت الثالث عملية استحضار الماشية والثيران من رتنو(٦) . ولعل كثرة ما عثر عليه من أختام جعرانية في فلسطين لموظفين مصريين ، ربما كانت تمثل أختامهم الرسمية التي كانوا يستخدمونها لإتمام عملية إحصاء الماشية هناك . وهو ما قام بتقليده حكام المدن الفلسطينية بعد ذلك(٧) .

أما استقدام الآسيويين للعمل في المناجم والمحاجر بسيناء فقد شهد عهد أمنمحات الثاني إحدى مجموعات العمال التي بلغت ستةً وخمسين اسما آسيويا ، بالإضافة لتلك المجموعة التي وصلت لإقليم بني حسن وقوامها سبعةٌ وثلاثون شخصا على عهد سنوسرت الثاني . فضلا عن بني جلدته أخو حاكم رتنو الذي قدم لسرابيط الخادم ربما للإفادة من اقتصاديات سيناء أو لجلب العمالة . وأخيرا تلك القائمة التي ترجع للأسرة الثالثة عشرة التي شملت نصف عددها أسماء آسيوية . ولا عجب أن تمتد خدمة هؤلاء في أعمال المعابد أو الأعمال المنزلية التي مثلت مع أعمال التعدين إضافة إيجابية للاقتصاد المصري(٨) .

والواقع فقد عكست البعثات التجارية المصرية للمدن السورية التي وصلت حتى نهر الأورنت حجم الاهتمام بهذا الجانب من العلاقات ، فإذا كان سنفرو قد استقبل حمولة أربعين سفينة خشبا ، فإن بعض هذه البعثات من الدولة الوسطى قد بلغ قوامها عشرة سفن لأجل جلب المنتجات التقليدية من غير الخشب . من ذلك الأواني الفخارية والكحل والمشغولات النحاسية كالأواني والفؤوس المقوسة التي استقر تعبير النحاس الآسيوي الخاص بها منذ الدولة القديمة . وقد عكست هذه البعثات في المجمل روح الهيمنة المصرية المتوازنة دون التوسعية بحسب الأمر في الدولة الحديثة(٩) .

وقد استمرت هذه العلاقة الاقتصادية خلال عصر الانتقال الثاني برغم الحالة السياسية التي كانت عليها البلاد ، فكما أسلفنا أن حكام الأسرة الثالثة عشرة قد باشروا تلك العلاقة مع جبيل ومدن فلسطين[١٠] . بل عندما شاع استخدام البرونز على نطاق واسع والذي كان يستلزم مهارة عالية في خلط النحاس بالقصدير ، كان الصناع الكنعانيون هم المعنيين بهذه التقنية الجديدة بحكم سابق خبراتهم في الصياغة . وهم الذين تشربوا بحكم تكونهم البشري الناتج الحضاري الأموري ونظيره الوافد من الشمال على يد الكاشيين وغيرهم[١١] .

وفي عصر الهكسوس لم تنقطع الصلات التجارية مع سوريا سواء من قبل كامس حاكم طيبة بعد دفع الضرائب لحكام أواريس ، أو من هؤلاء الهكسوسيين أنفسهم الذين شهد ميناء عاصمتهم نشاطا ملحوظا . حتى إن كامس قد أشار في لوحته الثانية إلى «مئات السفن المصنوعة من خشب الأرز الممتاز تحمل الذهب واللازورد والفضة والفيروز والفؤوس البرونزية بلا عدد ، (وكذا) الزيت العطري والبخور والدهن والعسل وخشب الصفصاف والصناديق الخشبية والعصي من أجود أنواع الخشب وجميع منتجات سوريا الطيبة» . بيد أنه على الرغم من مجيء الهكسوس من مجاورات بحر فزوين ومرورهم على العديد من المناطق السهلية ، إلا أنهم لم يضيفوا جديدا للحاصلات الزراعية ، ربما بحكم كثرة تحركاتهم وعدم استقرارهم طويلا بتلك المناطق السهلية . وهو مايجعل مسألة جلبهم للشادوف غير مقصورة منطقيا . إلا أنهم كرعاة أصلا ، عرفت مصر على أيديهم الثور ذا السنام وطريقة وشم الماشية لتمييزها وسهولة تصنيفها وإحصائها . وربما غيرها من الأدوات التي تكفل قلة العمالة مع سرعة الإنجاز[١٢] .

أما في الدولة الحديثة ، فقد عكست السطوة السياسية الأوضاع الاقتصادية حتى إن مقابر الأفراد التي يرجع معظمها للنصف الثاني من الأسرة الثامنة عشرة ، مثلت كتابا مفتوحا للعلاقة مع سورية . حيث لوحظ أن مناظر السوريين بتلك

المقابر هي الأكثر تمثيلا من بين مناظر الأجانب بها ، وقد جلب أمراؤهم السلع من رتنو وأمورو كالفضة والذهب والفيروز والأحجار الكريمة والأواني وغيرها ترضية للعاهل المصري . مثلما الحال في مقبرة الوزير رخمى - رع (رقم ١٠٠) والكاهن الأكبر من خبر رع سنب (٨٦) على عهد تحوتمس الثالث ، والقائد العسكري تيانيني (رقم ٧٤) من عهد تحوتمس الرابع ، ونائب الملك في كوش حوى (رقم ٤٠) من عصر العمارنة ، على سبيل المثال لا الحصر[١٣] .

كما يستلفت النظر ، إلى جانب الهدايا ، ما استجلبه معه تحوتمس الثالث في عامه الخامس والعشرين من الحكم إبان حملاته على الإقليم السوري من نباتات وفواكه وطيور ، والتي ضمنها قاعة الاحتفالات خلف الصرح السادس بالكرنك[١٤] .

والواقع أن التوسع السيادي المصري بالإقليم السوري واكبه سيل من الهدايا من حكامه لملوك الدولة الحديثة والعكس ، إنما يراها Liverani قد مثلت قوام التجارة آنذاك لا سيما من عصر العمارنة . ويضيف أنه برغم تعويق القوة الحيثية للسيولة المعتادة لمثل تلك المبادلات التجارية بالشكل الذي أثر فيها بحيث لم تعد ترقى لمثيلاتها من بابل وقبرص ، إلا أن هناك مدنا احتفلت بحرية التجارية مثل جازر وقادش وأوجاريت . إذ كانت ترسل تلك المدن هداياها أو بالأحرى سلعها بناء على طلب الفرعون بحكم احتكاره للتجارة الخارجية ، بما يحمل على الاعتقاد أنها أحد عناصر التجارة القائمة في استجلابها على التوجه السيادي المصري حيال سوريا . إذ كان يتوفر عليها موظفون رسميون ربما لعبوا دورا في الوساطة التجارية ، كما كان يتم تقييمها في مقابل الفضة والنحاس . بل ذهب Liverani لأبعد من ذلك بالقول إنه حتى المرأة في صفقات الزواج السياسي كانت تمثل بشكل مجرد أحد عناصر قائمة التبادل التجاري[١٥] .

والواقع أن مثل تلك الهدايا أو بالأحرى الجزى آنذاك كانت أحد عناصر الخزانة المصرية الأساسية ، حتى إنه أوقف لكهانة أمون دخل ست وخمسين مدينة

كنعانية ولرع قرابة المئة . قد مثلت الفضة التي كانت تجمع في جاوزر وأورشليم عنصرا هاما في قائمة الهدايا؟ الآسيوية ، فضلا عن اللازورد الذي كانت المدن السورية تلعب دور الوسيط في جلبه من بابل وآشور . إلى جانب النحاس المستجلب من جبيل وشمال سوريا قبل احتكار قبرص لتوريده ، بينما بقي الحديد والقصدير مستخدمين على نطاق ضيق وتتحكم خيتا في توريدهما أما الزجاج فقد دخل كعنصر مستحدث على تلك القائمة من عصر العمارنة ، بينما ظل الخشب كما هو على أهميته - كسلعة تاريخية إن جاز التعبير - يستجلب من جبيل لصنع مركب أمون في المقام الأول إلى جانب الاستعمالات الأخرى(١٦) .

كما كانت تستورد الزيوت بكل أنواعها وكذا النبيذ من بلاد خارو . أما الأسلحة فالقتالية منها كانت تصنع من النحاس وألفها المقاتل المصري عدا الخوذة وبعض الدورع ، في حين طعمت الأسلحة المخصصة للاحتفالات بالذهب والأحجار الكريمة . ولقد مثلت الأواني النحاسية الشهيرة بزخرفتها من كنعان وجاهى ، فضلا عن العربات الملكية الخفيفة جزءا هاما من عناصر قائمة الواردات المصرية (الهدايا) من سوريا(١٧) .

أما الماشية فقد كانت تنقل قطعانها لمواقع القوات لاستخدامها ، بينما ظلت الطيور والحبوب والخضروات غير مفضلة في قوائم الجزى إذ كانت تدخل في تموين القوات المصرية والحاميات على الحدود السورية أو تخزن في مخازن المدن الساحلية تحسبا لأية حملات مستقبلية أما الدجاج والأفيال فقد ظلا غير مألوفين مما يفسر سبب ندرتهما(١٨) .

وإلى جانب قيام الفرعون ذاته بإحضار تلك الواردات في أثناء الحملات ، فقد كان الغالب أن يتوفر موظفون رسميون من قبل الفرعون على إحصاء تلك الجزى والسلع المجلوبة من الإقليم السوري وتصنيفها . ولعل دورهم كملحقين تجاريين قد حدا بهم للقيام بالواسطة التجارية مع جزر البحر المتوسط ، ولعل ما يؤكد ذلك على سبيل المثال ذلك الخطاب الذي يكشف عن قيام أوجاريت

بالوساطة مع قبرص لصالح مصر على عهد أمنحتب الثالث[١٩] .

ومن المعالم الرئيسة لاقتصاد المنطقة حالة الاستقرار والانتعاش التي انعكست عليه بعد المعاهدة المصرية الحيثية ، إذ مارست المدن الساحلية السورية من غزة جنوبا إلى أوجاريت شمالا نشاطها التجاري بأقصى طاقتها متعدية النقل السلعي إلى الوساطة ونقل العمالة . كما زخر المجتمع المصري بالسلع من أسواق متنوعة ، كالنبيذ من أمورو والجعة من كيزوانتا بآسيا الصغرى ، والزيتون والتين من فلسطين (جاهى) ، والزيوت من تاشكى وميتان . حيث كانت تحفظ في أوان دائرية الشكل أو طويلة الرقبة بأحجام مختلفة . ولعل في كثرة تداولها تجاريا ما يفسر توافرها في مصر إلى جانب الأواني المعدنية الثمينة[٢٠] .

والواقع فإن الهزة السياسية التي تعرضت لها خيتا في المقابل قد أثرت في مدن شمال سوريا التابعة لها إذ أصبحت سهلة الاختراق من الجماعات التي هددت المنطقة . في حين كانت مدن الجزء الجنوبي والتابعة لمصر أقل تأثرا ، وإن تهددت تجارتها البحرية في البحر المتوسط منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد التي سيطرت قبرص على مقدرتها[٢١] .

لتبدأ تداعيات هذه الظروف تترى مظهرة آثارها السلبية ، فتجارة الحبوب مثلا قد تعرضت لارتفاع في الأسعار غير مشهود من قبل وصل إلى ثلاثة أضعاف للشعير ومثليها للحنطة . ولأن الأجور كانت تقدم في شكل مؤن ، فقد تحملت الخزانة المصرية منذ أخريات عهد رعمسيس الثالث حتي نهاية الأسرة العشرين فارق القيمة لتحفظ على الرواتب قيمتها . وهو ما حملها أكثر من طاقتها في ظل انخفاض معدل النحاس المستجلب الذي كانت تقيم به السلع . كما تأثرت واردات الخشب من جبيل بما انعكس على المشروعات العمرانية ومن ثم حجم العمالة المستخدمة[٢] . وباتت الظروف الاقتصادية خير معبر عن الأوضاع الساسية العالمية وانعكاسها على الظروف الداخلية ، ولنا في قصة ون أمون من الدلائل ما يكفي للقول إن جاز التعبير ؛ إن العلاقة الاقتصادية المصرية السورية قد

بدأتها مصر سعيا للخشب وأنهتها جبيل بحرمانها منه مع نهاية الألف الثاني قبل الميلاد .

ثانياً: مظاهر التأثير الحضاري المتبادل:

ترجع جذور العلاقات الحضارية بين مصر وسوريا لبواكير تاريخ المنطقتين ، بحكم الموقع الجغرافي والاتصال التجاري والتحركات البشرية فضلا عن الظروف السياسية والأهداف التوسعية . وقد أفرزت هذه العوامل حجماً هائل من المؤثرات الحضارية بين الطرفين غطت الجوانب الدينية والاجتماعية والفنية إلى جانب الأدب واللغة ، والتي سنقصر تناولها هنا على بعض الأمثلة وفي الإطار الزمني مناط البحث . مع ضرورة الإشارة في هذا الصدد إلى أن تناولها كل على حدة إنما يستهدف التوضيح فحسب لصعوبة الفصل في دراسة الظواهر الحضارية التي يفسر بعضها بعضاً في إطار «الكل الحضاري» - إن جاز التعبير - لمجتمع من المجتمعات .

وعلى المستوى الديني يمكن القول إن استيعاب المعتقدات في مصر وسوريا قد اكتنفه الكثير من المرونة والتسامح . فقد كان لجبيل قصب السبق في استضافة المعبودات المصرية بمعابدها المحلية ، وعلى رأسها حتحور التي لقبت بسيدة جبيل . كما تم تماثل الإلهة نوت بعنات بعد تخصيص معبد لها هناك ، بل وقدم أحد حكام جبيل ويدعى إنتن التقدمات بمعبد مدينته للإله رع حور آختي . وفيما يبدو أن هذه الألفة الدينية مع جبيل قد خصتها بالذكر في إحدى أهم الأساطير المصرية الخاصة بالصراع بين أوزير وأخيه ست ، إذ جرف التيار تابوت أوزير إلى هناك حيث أبحرت إيزة لرده . في حين حملت العديد من التمائم في تل الدوير وتل الصافي وبيسان أسماء إيزة وحورس ، الذي جاء ذكره في نصوص رأس شمرا . ولم يقتصر الأمر على المعبودات فحسب فقد استخدم أيضا بعض حكام جبيل في معابدهم مسلات مصنوعة محليا ، فضلا عن الأدوات الجنازية في

مقابرهم منذ نهاية الأسرة الثانية عشرة مثل أواني الدهان والمرايا المعدنية والجعارين فضلا عن اللوحات الجنازية[٢٣] .

ولعل ما ورد في قصة سنوهي من مفارقات واضحة في العادات الجنازية تضمنها الرد المصري بشأن عودته ، إنما تؤكد على تغلل المعرفة بالتقاليد السورية الجنزية . فالطمر في الصحراء بعد لف الجسد في جلد الغنم حسبما كان يدفن عليه القوم في كنعان ، كان من شأنه حرمان سنوهي من الخلود الأبدي لاحتمال ضياع جثته . في حين كفلت له عودته أن يكفن في لفائف مباركة بأيد تاييت ربة النسيج ، مع تشييع جثمانه في مشهد مهيب يتقدمه المنشدون ، حيث يوضع في تابوت مطلي بالذهب ومطعم باللازورد لتجره الثيران . وليتم تقديم لوحة القرابين مصحوبة بالإنشاد والرقص الجنزي[٢٤] .

ومن الجدير بالذكر أن محنة الهكسوس قد انعكست بالسلب على الناحية الدينية حيث أدى قلة المستجلب من الخشب الجيد من جبيل لصنع التوابيت الضخمة إلى لجوء المصريين لصنعها من خشب الجميز المحلي ذي القطع الصغيرة مما أدى لتقلص حجم النصوص الجنازية المكتوبة عليه . كما بنيت مقابر الأفراد الهزيلة على حافة الصحراء مقارنة بمثيلاتها في الدولة الوسطى ، فضلا عن أهرامات الأسرة السابعة عشرة من الطوب اللبن والتي عثرت على بقاياها بعثة متحف ميتروبوليتان والتي لم تصمد لعوادي الزمان[٢٥] .

بيد أن الهكسوس قد ماثلوا معبودهم سوتخ بالإله ست في انتهازية سياسية لاستثمار الدين في السياسة . مستندين على الخلفية الأسطورية لست التي كحاكم للصحراء بعد الصراع مع حور . ومن ثم فقد أصبح معبودا مشهورا عند بدايات طرق القوافل وواحات الصحراء الغربية ، ثم أواريس بل وبر-رعمسيس بعد ذلك . وأحيانا ما كان يصور في صورته الأجنبية والتي أظهرتها لوحة الأربعمائة عام ، بغطاء الرأس المخروطي وقرون الغزال مع ربطة الرأس الآسيوية المتدلية للخلف وعناصر الزينة كالأساور . مماثلا بذلك معبودهم

بعل الذي عبد معه كذلك في رأس شمرا ، والإلهات اللاتي ارتبطن به كعنات وعشترت المماثلات لنفتيس . كما كان ينعت «بأبي الآباء» لمنزلته الرفيعة بين المعبودات السورية مثلما كان ينعت حكام مدن الإقليم السوري العاهل المصري (٢٦) .

وفي المقابل فقد اتسم الفكر الديني المصري بسعة الأفق التي جعلته لا يقصر عبادة الآلهة المصرية داخل مصر فقط مع استيعاب كامل للآلهة الأجنبية في اللاهوت المصري ، والذي تتبدى أمثلته واضحة في الدولة الحديثة مع تزايد حجم الاحتكاك مع الإقليم السوري كما وكيفاً . فقد اقام فراعين الدولة الحديثة وموظفوهم لآلهتهم في سوريا بعض المظاهر التعبدية منها على سبيل المثال معبد لآمون وآخر لبتاح في عسقلان على عهد رعمسيس الثاني ، أو لوحة آمون إم أويت - على عهد تحوتمس الثالث - التعبدية لميكال معبود بيسان ومثلها من عهد رعمسيس الثاني لعانات وأقرانها في ذات المنطقة . كما أقام موظف آخر لوحة تعبدية لبعل في أوجاريت في أخريات الأسرة الثامنة عشرة ، حيث حظي بتقدير مصري برغم الفتور المؤقت حيال الآلهة السورية إبانمن مرحلة النقلة للأسرة التاسعة عشرة (٢٧) .

وإلى جانب التقدير المصري للآلهة المصرية عبر الحدود فقد واكبه تقدير آخر لمثيلاتها داخل مصر مثل اتخاذ أمنحتب الثاني لعشترت ورشف كإلهين حاميين لمركبته ، وقيام أمنحتب الثالث بتلمس بركة الشفاء من الإلهة الميتانية سوسجا (نظيرة عشترت) التي صاحبت أيضا زوجتيه كيلو خيبا وتادوخيبا للبلاط المصري لمباركة الزواج ومماثلتهما مع آمون في كونهم «صورة للرغبة الملكية» . كما اتخذ رعمسيس الثاني من عانات إلهة الحرب مرضعة له ، في حين جعل منها رعمسيس الثالث مع عشترت الدرع الحامي لمركبته (٢٨) .

ومن ثم لم يكن مستغربا أن يخصص الفراعين أماكن لعبادة الآلهة السورية في مصر ، مثل عبادة بعل وعشترت في منف عند منطقة رصيف الميناء prw-Nfr ،

وكذا عبادة حورون وربما رشف هناك . الذي كون والإلهة قدشو (قادش) ومين-آمون ثالوثا محليا في دير المدينة . وهو حضور قوي لتلك الآلهة في مصر يراه Cerny أكبر من حجم التحمس السوري للآلهة المصرية ، إذا قورن بحجم الوجود المصري هناك ونظيره السوري بالمجتمع المصري(٢٩) .

أما على **المستوى الاجتماعي** فقد غدت المظاهر الاجتماعية بخلفياتها السياسية والعسكرية والمعرفية مطروحة بقوة على كافة المستويات . فقد اتخذ حكام المدن السورية لا سيما في جبيل بعض مظاهر الملكية المصرية التي ربما ترتقي بهم بين أقرانهم من منزلة «الأخ» المرادفة للمساواة إلى منزلة «الأب» أو «أبو الآباء» . مثل كتابة أسمائهم في خراطيش ملكية أو انتحال لقب «الحاكم h3ty-ᶜ3» ولقب «الأمير الوراثي iry-pᶜt» . بل اتخذ بعضهم في قطنة وأوجاريت وحلب تماثيل ملكية على شكل «أبو الهول» ، واحتفظوا في بلاطهم بعلامات الحياة (عنخ) وقرص الشمس المجنح(٣٠) . بما يؤكد مقدار قوة احتكاكهم بالطبقة الحاكمة وعدم قصر العلاقة على جانبها الرسمي .

وفي المقابل اكتسب الموظفون المصريون ذات الخبرة المعرفية بتلك المجتمعات بحكم كثرة الزيارات الرسمية ، ولعل ما ذكره سنوهي من دقة في الواقع يؤكد ذلك . إذ كان التأكد من قدرة الموظف ودرايته بتلك البلاد من شروط تأهله للمهام الرسمية ، وهو ما تؤكده الأسئلة الموجهة لمبعوث ملكي وحوتها بردية أنستاسي (١) مثل «هال تعرف رفح ، وشكل استحكاماتها ، وسبل الوصول إليها . وموقع نهر الليطاني ومنطقة أوزو . . . إلخ»(٣١) .

ومن الشواهد الاجتماعية كثرة توافد العمالة الآسيوية (السورية غالبا) على المجتمع المصري وتأثرها به حتى في أسمائها ، لاسيما بالطبع الذين يعملون خدماً في المنازل ، حتى إن بردية بروكلين من عهد الأسرة الثالثة عشرة قد سجلت اتخاذ معظم الآسيويين بها لأسماء مصرية إلى جانب أسمائهم الأصلية ، ربما تسهيلا على مخدوميهم في النطق . فسكراتو مثلا تسمى بورديت دى نوب ، وجنرا

بنسب حنوت إس . . . .وهكذا . وجدير بالذكر محاولة أولبرايت للربط من حيث الأصل أو المعنى بين بعض الأسماء في البردية وتلك العبرانية في الكتاب المقدس ، مثل يعقوب ويوب (أب) حى-ور وشادى-ور (التي ربما تعنى هداد المتألق) . وليس بخاف أن تلك المحاولة إنما تستهدف صبغ خلفية تاريخية على الوجود العبراني بمصر ترجع لحوالي القرنين السابع عشر والسادس عشر قبل الميلاد . ويتم الربط كذلك بين هذه الفرضية الأخيرة ومجيء النبي يوسف عليه السلام إلى مصر ضمن تجارة العبيد التي سادت منذ الدولة الوسطى ، وحضور قومه (وفيهم إخوته) من العبرانيين لمصر وتعرفه إليهم وهم له منكرون ، وفق القصة المعروفة . وهي أمور تتداخل فيها واقعية الحدث مع شبهة الغرض المشار إليه سلفا[٣٢] .

ولقد عرف المجتمع المصري عددا من المستحدثات الإيجابية على عهد الهكسوس تمثلت بداية في أدوات القتال التي اقتصرت من قبلهم على الحربة الطويلة والأسهم المحمولة في اليد دون شيوع للكنانة ، إلى جانب البلطة ذات الشفرة النحاسية والعصا الخشبية والدروع والخناجر . إذ أضافوا لها الأقواس المركبة والأسهم ذات الرؤوس المعدنية مع زيادة فاعلية الخِناجر بجعلها مقوسة بدلا من المستقيمة ، فضلا عن استبدال الشعر المستعار بالخوذات الخفيفة الكنعانية التي فضلت عن مثيلتها الثقيلة . بالإضافة للعجلات الحربية التي مثلت طفرة في العسكرية لما أضفته على خططها من قدرات للمناورة[٣٣] .

بيد أن التوسع الإمبراطوري قد أضفى على المجتمع متغيرات مباشرة وغير مباشرة ، إذ يعتبر الدفع بالطبقة العسكرية إلى مصاف الطبقة الأرستقراطية في المجتمع التي كانت قاصرة من قبل على الطبقة البيروقراطية ، بالإضافة طبعا للأسرة الحاكمة ورجال الدين . وهو متغير غير مباشر من حيث عدم مشاركة المدن السورية في تحقيقه ، وإن كانت السياسة المصرية العسكرية المكثفة حيالها قد أفرزت هذه الطبقة التي حملت على عاتقها عبء تنفيذها وانعكست على

وضعها الاجتماعي الذي قفز بها في النهاية لسدة الحكم في الأسرة التاسعة عشرة . فضلا عما منحه لها الإقطاع العسكري من تميز اقتصادي(٣٤) .

كما أضفى التوسع الإمبراطوري منذ عهد أحمس تغيرا حيال النظرة التقليدية للملك الذي لم يعد فقط المحارب المنتصر ، بل زيدت عليه تلك المؤهلات الجسدية الشخصية الخارقة التي جعلت منه «الملك الرياضي» حيث شكلت رحلات الصيد الأساس في هذا الطرح . حتى إن تحوتمس الثالث وصف بصيد عدد من الحيوانات يفوق الجيش بأكمله ، وأنه قادر على إصابة سبعة أسود في المرة الواحدة . . .واثني عشر ثورا وحشيا في ساعة . أما ابنه وخلفه فقد كان قادرا على الإصابة بقوسه أربعة أهداف في المرة الواحدة(٣٥) .

وقد حرصت الملكية على تعميق تميزها وتكريسه بين الحكام السوريين ، بما يضمن الولاء التام لها من قبلهم ليس فقط بالسيادة العسكرية بل باستقدام خلفائهم من الأبناء والإخوة ليتشربوا الثقافة المصرية بمعايشة المجتمع المصري . وهو ما أكده أرخاتو حاكم مدينة كوميدى بالحرص على إرسال أبنائه لمصر ، أو ياختيرى حاكم غزة الذي طالما ذكر مصر كوطن ثان له منذ أن تربى فيها صغيرا(٣٦) .

أما على مستوى الأفراد فقد أضاف العنصر الأجنبي لاسيما السوري إضافة جديدة للنسيج المجتمعي المصري . إذ أصبح معتادا رؤية التجار السوريين في سوق منف ومع بني جلدتهم من أهل صور في الحي المخصص لهم هناك ، فضلا عن مدن الدلتا . كما شاعت ألفاظهم وأساطيرهم واتسمت بالسمت المصري . وكان طبيعيا جدا استقرار البعض منهم جيل بعد جيلا حتى بلغ حد التمصير ، ونجحت بعض عناصرهم في الانخراط في السِّلم الكهنوتي أو في دولاب الإدارة والقصر ومناصب الجيش فضلا عن المستوى الحرفي المتميز . ولو ركزنا هنا على النماذج السورية على سبيل المثال لا الحصر فيمكن الإشارة إلى الوزير عابر-إيل من عهد أمنحتب الثالث ، والذي يقال إنه من أصل عبراني؟ . وكذا توتو ومايا ودورهما

الفعال في البلاط الأخناتوني . وهناك القائد العسكري أورحيا من عهد سيتي الأول (ومعنى اسمه الإله حق) من أصل خوري وربما من ألالاخ ، وقد شغل منصبا قياديا على عهد رعمسيس الأول وكذا رعمسيس الثاني إذ أنهى حياته الوظيفية كمشرف ورئيس أعمال بالرمسيوم . ومن عهد رعمسيس أيضا هناك رع-مس الذي كان ضمن الكوكبة التي حملت لوح المعاهدة مع خيتا ، وقد شارك فيها أيضا حاكم قرقميش بمندوب عنه يدعى يابوسيللي . وهناك من ذات العهد أحد سقاته من أصل كنعاني ويدعى بن-أوزين وهو الذي نجح في الترقي والوصول لمنصب كبير حجاب القصر . ومن هؤلاء أيضا المستشار الملكي باي الذي بلغ نفوذه مبلغا خطيرا في نهاية الأسرة التاسعة عشرة ، مما اضطر ست نخت للتخلص منه ليضمن نجاح ترتيبات عصر جديد . وأخيرا اشتراك قاضيين آسيويين أحدهما سوري من بين اثني عشر قاضيا باشروا قضية مؤامرة الحريم ضد رعمسيس الثالث(٣٧) .

ومن الأمثلة الخاصة بالحرفيين فقد عرفت دير المدينة مجموعة منهم اكتسبت شهرتها من العمل في الأملاك الملكية ، مثل الصائغ نفرحور والنحاتين حوى وتيا . فضلا عن ديديا من عهد سيتي الأول والذي يمثل سادس جيل من عائلته ذات الأصل السوري التي احترفت رسم المناظر الدينية الخاصة بآمون ، مما يؤكد عمق العلاقات وسهولة استيعاب الأجانب للفن الديني المصري بل وتوارثه . وإن كان هذا لاينسينا الدور الفعال في الاقتصاد المصري الذي قام به العمال العاديون من الأجانب في كافة الأعمال والحرف(٣٨) .

بيد أن الموقف المصري من البدو لم يكن على ذات الدرجة من الحفاوة بالسوريين الفاعلين في المجتمع المصري . فبدو الشاسو كان يسمح لهم بعبور الحدود الشرقية تحت سمع وبصر رجال الحاميات لرعي قطعانهم ، والبدو العبرانيون التحقوا بالعمل في قمائن الطوب ببر رعمسيس . وذلك دون أن يكون وجودهم في المجتمع المصري مقبولا أو مريحا(٣٩) .

وفي المقابل لم يحظ العمل في سوريا بالقبول لدى المصريين إلا على المستوى الرسمي ، مثل آمون-مس الذي عمل مستشارا في بلاط حاكم قرقميش . فضلا عن الأطباء المصريين مثل الطبيب بارياماخو الذي أرسله رعمسيس الثاني لعلاج الأمير الحيثي كورونتا ، وكذا خدم القصور من ذوي الأصل النوبي الذين كانوا مطلوبين من قبل حكام سوريا لاسيما في بلاط أوجاريت(٤٠) .

أما على مستوى **العمارة والفن** ؛ فيمكن القول إن الشواهد في هذا الصدد تستعصي على الحصر لتنوعها ولكونها من أكثر العناصر الحضارية وضوحا وتميزاً . ومن خلال الأمثلة المتاحة يمكن الإشارة بداية إلى مجموعة المعابد التي ابتناها الفراعين تحوتمس الثالث سيتي الأول ورعمسيس الثاني ورعمسيس الثالث في بيسان ، والتي بنيت على الطراز الكنعاني لعبادة الآلهة المحلية هناك بعناصر معمارية أساسية متشابهة . إذ كانت عبارة عن بهو ينتهي بحجرة للمذبح ترتفع قليلا عن أرضية المعبد ، وعلى جنبات البهو تكثر المصليات وأقماع صب النبيذ لآلهة المعبد وعلى رأسها بعل إله الخصوبة وآلهة الأرض الممثلة على شكل حيات ويمام(٤١) .

أما المراكز الإدارية المصرية التي أقيمت في المدن الكنعانية مثل تل الفارعة وبيسان وغيرها ، فقد غلب عليها الطابع المصري والمتفق مع ساكنيها . فقد شيدت من الطوب اللبن مربعة الشكل تحيط جدرانها بفناء ملحق به مخازن مقسمة إلى حجرات وردهات تصل فيما بينها وتتفتح جميعها على ساحة الفناء . وللمبنى مدخل جانبي وسلم يقود للطابق العلوي(٤٢) .

وبالنسبة للتأثير السوري في العمارة المصرية فقد تمثل في نمط البوابات ذات الأبراج (المجدول) ، والذي تعد بوابة معبد مدينة هابو أشهر أمثلتها . أما في الفن فمما لاشك فيه أن الاحتكاك بسوريا كانت له مؤثراته غير المباشرة ، إذ زود الفنان المصري بذخيرة ضخمة من موضوعات التصوير بالنسبة للأشخاص والأماكن

والأدوات والملابس التي حفلت بها جدران المقابر والمعابد . كما أعطى تصويره للموضوعات المتكاملة لاسيما العسكرية منها بعدا قصصيا لفن التصوير(٤٣) .

في حيث تأثر فن التصوير السوري بالأسلوب المصري في رسم الأشخاص بالجنب مع ظهور الوجه كاملا فضلا عن تمثل بعض الملامح الفنية . وأشهر تلك الأمثلة تأتي من أوجاريت حيث صور حاكمها نقمود الثاني وزوجته على إناء من المرمر وهو يقمع عدوه في أزياء مصرية تماما عدا الرأس حيث استبدلت الباروكة والكوبرا الحامية على الجبهة بغطاء محلي ، وكذا المقمعة التي استبدلت بسيف في يده . كما جمع أكثر من عنصر تصويري متناقض مثل منظر العازفتين أمام الملك وخلفهما منظر القتال(٤٤) .

أما في النحت والفنون الصغرى فقد غالى الفنان السوري في استلهام معطيات البيئة من الحيوانات لاسيما الأسد فضلا عن العناصر النباتية والبشرية . وقد قام بتقليد الخناجر المصرية والأختام الجعرانية التي حملت بعض كتابات هيروغليفية ، فضلا عن الحلى وأدوات الزينة ذات الزوايا التي عرفها المصريون منذ عهد الهكسوس . وإن برع السوريون في المشغولات العاجية لاسيما في مجدو التي لم يبارها في ذلك أحد(٤٥) .

وبالنسبة للتماثيل ، فعلى الرغم من العثور على تماثيل مصرية لإحدى زوجات سنوسرت الثاني ولأمنحتب الثالث بمدخل المعبد الكبير لبعل في أوجاريت ، إلا أن التمثال الذي عثر عليه لأمنحتب الثالث والمحفوظ بمتحف المتروبوليتان يظهر بعض المؤثرات السورية إذ يبدو الملك مرتديا رداء أجنبيا (ربما بابلي أو ميتاني) بحواش مزخرفة وفوقه الرداء المصري بثنياته المتعددة الذي شاع في الدولة الحديثة . ولنفس الملك ختم أسطواني منحوت بأسلوب فني آسيوي يظهره وهو يضرب الأعداء وخلفه إلهة مجنحة بيد بشرية ، وهي إلهة آسيوية ماثلت ماعت وحتحور(٤٦) .

وجـدير بالذكـر أنه برغم ضـعف التـأثيـر الفني المصـري بحكم الظروف السيـاسية في القـرنين التـاسع والعـاشـر من عـصـر الحديد ، إلا أن بعض شـواهده ظلت قـائمة خـلال فترة الأسـرتين الثانية والعشـرين والثـالثة والعشرين في عـمون ومؤآب وأدوم . وقـد تمثلت في تماثيل الأشـخـاص ذات التـاج (الآتف) الأوزيري والجعارين والأختام الحجرية بنقـوشها المصرية ، والتي لا يخفى دور المدن السورية في نقلها لتلك المناطق ربما في فترة سابقة[٤٧] .

وبالنسبـة لفن الموسـيقى والغنـاء ، فربما عـرفت مـصـر من قـبيل عـهـد الهكسـوس وخلاله بعض الأدوات الموسيقـيـة بحكم ظهـورها في المجتـمع منذ الدولة الحديثة . منهـا القيـثارة المصورة بمقبرة المغني حور-مس بجبانة طيبة ، أو الأخرى الطويلة العنق التي ظهر نموذج لها مع مجموعـة إيب-شافي بني حسن . وكـذا العـود والدف وآلة النفخ (الأبوا) . في حين استـقبلت المدن السـورية بعض المغنيين المصـريين مثل منشدة بتاح في عسـقلان ، والمغنيـة تانوتنا في بلاط حـاكم جبيل التي أشار إليها ون أمون في قصته[٤٨] .

وعلى مستوى **الكتابة واللغة والأدب** فمنذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد وسيناء تستقبل العمـال السوريين لاسيمـا في سرابيط الخادم حيث تعرفوا على عـلامـات الكتـابة المصرية ونقلوها بدوهم لمدنهم فيـمـا يعرف بكتـابة مـا قبل - السـينائيـة ، حيث عـثـر على أوان في شكيم وغـزة ولكش عليـهـا عـلامـات هيروغليفيـة ترجع للقرن السـادس عشر قبل الميلاد . وهي تتميز عن المرحلة السينائية التي وضح فيهـا التأثير المصري على الكتابة الفينيقية في القرن الثـاني عشر قبل الميلاد ، إذ تم رصد العديد من العلامات الصورية بها مثل العين لحرف (ع) ورأس الثـور (للألف) والبـيت (للبـاء) وليس (بر) والماء للنون وليس (مـو) إلخ . أي أنهـا تحللت من قيم العلامـات المصرية لاسيمـا المقطعية منهـا لتقصرهـا على حرف واحد فقط بحيث تطورت هجائيتها لتصبح عبارة عن خطوط مجردة غير صورية ، تيسيرا لتداول وتحرير وثائق العمليات التجارية . في حين لم تظهر

تأثيرات مصرية ملحوظة على اللهجات السورية لقلة الوافدين المصريين للإقامة هناك ، والنزر اليسير منها تمثل فيما اشتملت عليه قوائم الهدايا والجزى وتم تدوينه بالمسمارية الأكدية ، أو ما تم تداولهم على نطاق ضيق في المجال السياسي والعسكري[٤٩] .

من ذلك كلمة brt التي تعني في المصرية (اتفاق) والتي شاعت كمسمى للمعاهدة بين المدن السورية لاسيما في أوجاريت وقطنة ، ثم أطلقها العبرانيون على العهد الإلهي . وفي المقابل شاعت في مصر كلمة ^{c}glt السامية منذ عهد رعمسيس الثالث والتي كانوا يطلقونها على العربات التي تجرها الثيران ، وهو ما دفع البعض لتوكيد افتراض مجيء شعوب البحر للمنطقة خلال ذلك العهد . فضلا عن كلمتي mskb و mhr الساميتين والخاصتين بالمركبات ، وقد أضيفتا للقاموس العسكري المصري لتشير الأولى لرتبة عسكرية رفيعة والأخرى لوظيفة حامل الرسائل العسكرية (المندوب)[٥٠] .

ومن البدهي أن يفهم قلة التأثير المصري اللغوي في سوريا في إطار حجم الوجود البشري هناك ، في حين لو اقتصر الأمر بالنسبة للكلمات السورية في القاموس اللغوي المصري على ما تم سوقه لصار أمرا مستغربا لا يتسق وحجم الوجود السوري في المجتمع المصري في كافة المجالات . ومن أحدث الدراسات في هذا الصدد كتاب Hoch ؛ الذي قام بعمل إحصاء لتلك الكلمات السامية في النصوص المصرية خلال عصري الدولة الحديثة والانتقال الثالث بلغت ٣٩١ كلمة تزاد بتخريجاتها إلى ٥٩٥ كلمة تتعلق بشتى مناحي الحياة ، مقابل ٢٣ كلمة فقط أحصاها Ward قبله بثلاثة عقود . وقد بلغ ما تعلق بالعسكرية فيها أعلى نسبة حوالي ١٥ / ١٦٪ ، فيما جاءت الكلمات المتعلقة بالملكية ورموزها ودعايتها الأقل نسبة بواقع ١٪ . وبين النسبتين تراوحت النسب المتعلقة بكلمات الحياة الاقتصادية والمنزلية والترفيه والنشاط والقيم المطلقة والجوانب الصحية والمعمارية والقانونية والسياسية والدينية والاجتماعية ؛ على التعاقب[٥١] . وقد اخترنا أمثلة لتلك

الكلمات في المصرية والسامية والعربية موزعة على أحرف الهجائية المصرية ، مع بيان رقمها بالكتاب ، وعلى النحو التالي :

رقم الكلمة	في المصرية	في السامية	في العربية
١٠	13m3	Ummi,·imma	أم
٥٦	yrhm	Yuroham	يرحم
٨٠	^{c}nb3	Inaba	عنب
١١٥	b^{c}r3	Ba^{c}lu	بعل/ سيد
١٥١	prhw	Paraha	يفرخ
١٦٥	Mnhi(t)	Manhatu	منحة
٢٤٥	N3^{c}m3	Na^{c}aruna	جنود
٢٧٢	R3bi	Rabbi	ربى
٢٩٨	Hrurw	· Hilled	هلل
٣١٢	H3mr	Hamaru	حمار
٣٤٧	H3rubi	Horibi	خروبى/ مدمر
٣٥٨	S3^{c}rw	Sa^{c}aru	شعر/ شعير
٤٥٥	S3m^{c}	Sama^{c}a	يسمع
٤٣٢	Or^{c}w	Qil^{c}3	يقلع/ يبحر
٤٥٧	Kp	Kappi	كف
٥١٥	G3ry3	Garaya	مجرى
٥٢٥	Twiwb	Tobu	طيب
٥٥٣	Thyr	Sahira	يسخر
٥٦٣	Dphw	Tappuha	تفاح
٥٩٤	Dtw	Zetu	زيت/ زيتون

أما الأدب فقد تجلت فيه العديد من التأثيرات بإشاراتها التاريخية والجغرافية والسياسية والاجتماعية ؛ مثلما جاء في قصة سنوهى ، وما حدث بين سقنن رع وأبو فيس ، وقصة غزو يافا بخلفياتها التاريخية . فضلا عن قصة الأمير الملعون

التي استكملت أحداثها في آسيا حيث الفوز بالأميرة الميتانية ، أو ما جاء من ذكر لأحداث وقعت في جبيل في قصة الصراع بين أوزير وست وقصة الأخوين وقصة رحلة ون-آمون . أو قصة الصراع بين الخير والشر ذات الأصول الخورية التي انعكست على بطلها آبو ، وقصة عشترت وإن ضاع معظمها(٥٢) .

وفي المقابل فقد أثر الذوق الأدبي المصري في النصوص السورية ، من ذلك مقابلة مضمون الأنشودة الكبرى لآمون بما جاء في مزامير النبي داود الملك والتي وضح فيها تأثر الأخيرة بالفكر الأتوني الراقي . أو مثل تمثيل رب - عدى لحقوله التي لم تحرث في إحدى رسائله بأنها مثل المرأة التي لا زوج لها ، وهو ذات وصف بتاح حتب منذ قرون خلت للزوجة بأنها حرث لزوجها . وربما يرجع ذلك لاشتغال بعض الكتاب المصريين في بلاط حكام المدن السورية مثلما كان الحال لدى أبى - ملكي حاكم صور(٥٣) . مما يدلل على سهولة فهم وتوظيف الأسلوب الفكري المصري في الخارج ، وقدرة هذا الأسلوب في المقابل على التواؤم مع غيره من الأنماط الفكرية واستيعابها في مرونة وصهرها في النهاية في بوتقة الحضارة المصرية الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ الإنساني .

هوامش المبحث الثاني

(١) Silver, M., Economic Structure of the Ancient Near East (1985), passim; Kemp, B. J., Ancient Egypt: Anatomy of a Civilization (1991), ch. 6; Janssen, J., SAK 3 (1975), 180 - 5.

(٢) Ward, W. A., JESHO 6 (1963), 53 - 7; Kemp, B., Ancient Egypt (1983), 147; Gonen, R., The Late Bronze Age (1992), 246.

راجع بعاليه ص ١٤ - ١٥ .

(٣) Kempinski, A, The Middle Bronze Age (1992); 203 - 5; Ward, A., JESHO 6 (1963), 54 - 5; Gonen, R., The Late Bronze Age (1992), 247 - 9;

حسام حسن رجائي : تجارة مصر الخارجية منذ أقدم العصور وحتى نهاية الأسرة الثانية عشرة ، ٢٩٤ - ٢٩٥، ٤٠٦ .

(٤) Gonen, R., The Late Bronze Age (1992), 249; Ovadia, E, The Domestication of the Ass and pack Transport by Animals, MWA 10 (1992), 20 - 24.

(٥) Ward, W. A., JESHO 6 (1963), 55 - 6; Simpson, W. K., The Literature of Ancient Egypt (1973), 63.

(٦) Blackman, A., M., The Rock Tombs of Meir (1914), Pl. 18; Idem., JEA 2 (1915), 13 - 4,

(٧) Posener, G., Syria 34 (1957), 160 ff,;

حسام حسن رجائي : المرجع السابق ؛ ٤٢٤ .

(٨) ANET, 553 - 4 Goedicke, H., JARCE 21 (1984), 210; CAH^3 1/2, 542; cf. Winlock, H. E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom (1947), 93; Cerny, J., Ar. Or. 7 (1935), 384 - 9; Beit-Arieh, 1., Canaanites and Egyptians at Sarabit El-Khadim, 65 - 6, Cerny, J., Ar. Or. 7 (1935), 348 - 9; Beit-Arieh, 1.,

Cananited and Egyptians at Serabit El-Khadim, 65 - 6 ; وبعاليه ص ٢٢ - ٢٣

(٩) Kemp, B., op. cit., 142, 147;

حسام حسن رجائي : المرجع السابق ، ٣٩٤، ٣٩٩، ٤٠٧ .

(١٠) Van Seters, J., The Hyksos (1966), 101 - 3.

(١١) Millard, A., The Canaanites (1973); 38 - 9; cf, Keynon, K., Amorites and Canaanites (1966), passim.

(١٢) ANET, 554 - 5; Winloxk, H. E., The Rise and Fall o the Middle Kingdom in Thebes (1947)m 166 - 8. . راجع : بعاليه ص : ٢٤ - ٢٦

(١٣) PM^2 1/1, 464, 476 - 7; ANET, 248 - 9 .

عن مناظر مقابر الأفراد في الأسرة الثامنة عشرة ؛ راجع :

Radwan, A, MÂs 21 (1969).

(١٤) PM^2 II, 120 - 1; Cumming, B., Egyptian Historical Records (1982), 13 - 5.

سيد توفيق : أهم آثار الأقصر الفرعونية ، ١٤٧ ؛ عن المسميات العلمية للسلع راجع :

Baum, N., CdÊ 67/133 (1992), 60 - 5.

(١٥) Liverani, M., "Irrational" Elements in the Amarna Trade, MANE 1/5 (1979), 21-33; Knapp. A., B., World Archaeology 24/3 (1993), 341 - 2; Janssen, J., SAK 3 (1975); 163 - 4;

محمد علي سعد الله : الدور السياسي للملكات ، ١٦٧ - ١٩٩ ؛ حسن محمد محيي الدين السعدي : الزواج السياسي ، ٣٨ ، وبالنسبة للهدايا أنظر مراجع هامش ٥٣ بذات البحث .

(١٦) Redford, D. B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 209 - 11; Liverani, M., MANE. 1/5, Malibo (1979), 8 no . 42; Cumming, B., op. cit., 4; 1237.

(١٧) Onom. I, 181 ff,; Redford, D.B., op. cit., 211 - 13.

(١٨) Urk, IV, 719.

(١٩) Urk. IV, 975; KRI III, (exx), 21, 136, 149; EA 34; Lipinski, E., Iraq 39/2 (1977), 213 - 17.

(٢٠). Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel (1992), 225; Culican, W., The First Merchant Ventures (1966), 42 - 3.

(٢١) Sandars, N. K., The Sea Peoples (1985), 49; Knapp, A. B., World Archaeology 24/3 (1993), 336 - 8.

(٢٢) Cerny, J., Ar. Or. 6 (1933/34), 176 - 8; Idem., JWH 1/4 (1954), 903 - 21.

(٢٣) Kemp, B., Ancient Egypt, 146; El Nadoury, R., Bulletin of the Faculty of Arts (Alex. Univ.) 10 (1956), 87; Otto, E., Osiris und Amun (1966), 25 ff,

(٢٤) سليم حسن : الأدب المصري القديم ، ج ١ ، ٥١ - ٥٢ ؛

Hall, H. R., The Ancient History of the Near East (1960), 157 - 8, El-Saady, H., JEA 80 (1994), 213 - 17 esp. 215; Redford, D.B., op. cit., 196.

(٢٥) Winlock, H. E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom (1947), 101 - 2.

(٢٦) Van Seters, J., The Hyksos (1966), 171 - 6; Montet, P., Kêmi 4 (1933), 196 - 7; Cerny, Ancient Egyptian Religion (1957), 125; Kitchen, K. A., Interrelations of Egypt and Syria,. OAC 9 (1969), 82 - 3; Te Velda, H., Seth; God of Confusion (1976), 13 - 26; Idem., LA V (1984) 908 -10;

حسني حداد ؛ سليم مجاعص : بعل هداد (١٩٩٣) ، ٢٣ - ٢٥ .

(٢٧) ANET, 249 - 5 .

(٢٨) Kitchenm K. A., Amenhotep iii and Mesopotamia (1997), 10 - 11; EA 62 no, 2; Cerny, J., op, cit., 126 - 7..

(٢٩) Millard, A., The Canaanites (1973), 43 - 7; Kitchen, K. A., OAC 9 (1969), 89; Cerny, J., Ancient Egyptian Religion (1957), 128.

(٣٠) ANET, 229; CAH^3 1/2, 545 - 50; PM^2 VII passim; Kemp, B., Ancient Egypt, loc. Redford, D. B., Egypt, Canaan and Israel, 97.

(٣١) See; Goedicke, H., CdÊ 67/1333 (1992); Green, M., CdÊ 58/115 - 116 (1983) passim; Redford, D.B., op. cit., 202.

(٣٢) ANET, 553 - 4; Albright, Q. F., JAOS 74 (1954), 222 - 3; KITCHEN, K. A., BSFE 128 (1993), 16 - 20.

(٣٣) Winlock, H.E., op. cit., 153 - 6; Redford, D.B., Egypt, Canaan and Israel, 213.

(٣٤) Kadry, A., Officers and Officials in the New Kingdom, Studia Aegyptiaca VII (1982), passim;' Kemp, B. J., Ancient Egypt: Anatomy of a Civlization, (1991), part III, 5 - 6.

(٣٥) Urk, IV, 1245; ANET 243 - 4; Unk., IV, 1279.

(٣٦) راجع بعاليه ص ٣٠ ؛ EA 198, 296 ;

(٣٧) Zivie, A., Découverte a Saqqara (1990), passim, CAH^3 11/2, 84; Kitchen, K. A., JSSEA 9/1 (1978), 16 - 7; KRI II, 226, RITA II, 80; Redford, D.B., op, cit., 225; Kitchen, K. A., Pharaon Triumphant (1982), 216 - 7; CAH^3 11/2, 247.

(٣٨) KRI I. 329; Lowle, D. A., OA 15 (1976), 98 - 101, figs., 1 - 3; Janssen, J., SAK ^{3} (1975),158.

(٣٩) Redford, D.B., Akhenaten: The Heretic King (1989), 28 - 9; Grollenberg, L H., The Shorter Atlas of The Bible (1983), 106 - 7.

(٤٠) Kitchen, K.A., OAC 9 (1969), 93 - 4; Idem., Pharaoh Triumphant (1982), 91.

(٤١) Rowe, A., The Four Canaanite Temples of BEith-Shan 1 (1940), 6 - 12; Keynon, K., The Bible and Recent Archaeology (1986), 28.

(٤٢) Oren, E. D., The :Ways of Horus" in North Sinai (1987), 108 - 10; Idem., JSSEA 14 (1983), 37 - 8; Gonen, R., The Late Bronze Age (1992), 200.

(٤٣) Kitchen, K. A., OAC 9 (1969), 91; Gonen, R., op. cit., 223; Gaballa, A, G., Narrative in Egyptian Art (1976), passim,

(٤٤) Kitchen, K. A., OAC 9 (1969), 93.

(٤٥) Gonen, R., The Late Bronze Age (1992), 251 - 7; El-Nadoyry, R., Bulletin of the Faculty of Arts, Alexandria University 10 (1956), 86 - 8; Loud, G., The Megiddo Ivories, OIP 52 (1939), passim;

حسام حسن رجائي : تجارة مصر الخارجية ؛ ٤٢٤ .

(٤٦) شيفان ، إ .ش . : ثقافة أوجاريت في القرنين ١٤ ، ١٣ ق .م ، ١٢٠ - ١٢٢ ؛

Hayes, W. C., The Scepter of Egypt 11 (1959), 237 fig, 142; Schmidt, H., Rde 44 (1993), 154 - 5.

(٤٧) Kitchen, K.A., The Egyption Evidence on Ancient Jordan (1992), 29 - 30.

(٤٨) Winlock, H. E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom (1947), 168 - 70; Kitchen, K.A.,OAC 9 (1969), 93 - 4; Simpson, W. K., The Literature of Ancient Egypt (1973), 154

(٤٩) محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، ١٨٥ - ٩٠ ؛

Culican, W., The First Mrtvjsmy Ventures (1966), 122 - 6; Kitchen, K.A,.OAC 9 (1969), 83-7; Gonen, R., The Late Bronze Age (1992), 249 - 51; Millard, A., The Canaanites (1973), 41 - 2; cf. Beit-Arieh, I., Canaanites and Egyptians at Serabit El-Khadim (1987), 65.

(٥٠) Kitchen, K, A., Egypt, Ugarit, Oatna and Covenant (1979), 453 - 64; Peden, A., CdÊ 71 (1996), 48 -51; Schulman, A.R., ZAS 93 (1966), 123 - 32.

(٥١) Hoch, J. E., Semitic Words in Egyption Texts of the New Kingdom and Third Intermediate Period (1994); cf, Ward, W. A., Or. 32 (1963); 413 - 436.

(٥٢) See, Lichtheim, M,. Ancient Egyption Literature (1975 - 8), I, 222 - 23; II, 200 - 3, 203 - 11, 224 - 9,211 - 4, Simpson, W. K., The Literature of Ancient Egypt (1973), 57 - 74, 77 - 80, 81 - 4, 85 - 91, 92 - 107, 142 - 55, 127 - 32; Gardiner, A. Late Egyptian Stories (1932), 40, 82 - 5;

سليم حسن : الأدب المصري القديم ، ج١ ، ١١٧ .

(٥٣) سليم حسن : الأدب المصري القديم ، ج٢ ، ١١١ - ١١٩ ؛

Kitchen, K.A., OAC 9 (1969), 86, 89.

خاتمة البحث

إن التناول المرجعي للعلاقة المصرية - السورية خلال الألف الثاني قبل الميلاد يوضح - بما لا يدع مجالا للشك - تاريخية هذه العلاقة وقدرتها المستمرة على تجديد نفسها . وبرغم تناول الخلفية التاريخية للفترة مناط البحث من ناحية ، والتعقيب عليها بفترة تخرج عن إطارها الزمني من ناحية أخرى ؛ إلا أن فترة الألف الثاني تظل بمنزلة حجر الزاوية في هذه العلاقة . إذ يكفي أنها تغطي فترة النضج الحضاري خلال عصري البرونز الأوسط والمتأخر ثم جزء رئيسي من عصر الحديد ، بما شهدته منطقة الشرق الأدنى القديم من تفاعل لكافة المعطيات الحضارية بمناطقها مع التوجهات الداخلية والخارجية لوحدتها السياسية . بحيث تصوغ في النهاية الصورة المتكاملة لتاريخها السياسي الحضاري .

ونظراً لتناول الدراسة لإقليمين من أقاليم المنطقة هما مصر وسوريا الكبرى ، وبحكم أن كل جانب في العلاقة بينهما إنما يحتمل أن يقوم بذاته كموضوع بحثي مستقل سواء زمنيا أو مكانيا ؛ فإن ما يمكن استخلاصه من نتائج لسوف يكون متواكبا مع النظرة الكلية للبحث دون النزوع للتخصيص .

ومن ثم يمكن القول إن العلاقة قد تحكم فيها بداية البعد الاقتصادي في شكل جلب المنتجات السورية لمصر وأهمها الخشب . أو عمل السوريين في مناجم سيناء لاسيما سرابيط الخادم . بحيث فرض الحفاظ على هذا الوضع على مصر - ومع تراكم خبراتها التاريخية - ضرورة تأمين سيناء ، لما شكلته إغارات البدو من تهديد مباشر لها . فكان تحصين الحدود بالحاميات والأسوار ثم الانطلاق في حملات تأديبية لم تتعد في المجمل جنوب فلسطين حتى نهاية الدولة الوسطى . مما يؤكد كونها حملات وقائية تتفق وحجم المغير وطبيعته .

بيد أن التحركات البشرية التي شهدتها منطقة الشرق الأدنى والتي أفضت لمجيء الهكسوس لمصر ، جعل النظرة السياسية المصرية للمنطقة السورية تتحول

من «المد الوقائي» إلى «المد التوسعي» منذ عصر الدولة الحديثة . وقد احتاج هذا التوجه الجديد ألا تكون مصر بمعزل عن أحداث المنطقة لأبعد من جنوب سوريا ، مع استيعاب كامل لمعطيات التوسع المتمثلة في تحديث الجيش وتنظيم الإدارة الداخلية والخارجية مع تحديد لأولويات العلاقة في ضوء المصلحة القومية .

وقد ساعد مصر على ذلك طبيعة الإقليم السوري السياسية التي لم تنزع يوما للتوحيد ، فقد عرف عبر التاريخ السياسي للمنطقة بكثرة دويلاته ، مما جعله عالة سياسية دائمة على القوى الكبرى التي تظهر في المنطقة مهما اختلفت مشاربها . على العكس من مصر التي صارت الوحدة معلمها الأساسي وماعداها هو الاستثناء ، أو بلاد الرافدين التي وإن قامت على نظام المدينة الدولة إلا أنها كانت تنزع للوحدة تحت إمرة المدينة الأقوى انطلاقا من مفهوم الأمة أو على أساس عرقي . وفي ضوء هذه الخصوصية ؛ فقد مثل الإقليم السوري برمته العمق الاستراتيجي للمصالح المصرية كافة ، في حين مثل الجزء الجنوبي منه منطقة عازلة لا يمكن التنازل عنها مطلقا في مجال الأولويات . مع ضرورة الحفاظ على سلامة الحدود الرسمية للدولة ببناء المدن المحصنة بديلا عن الدفاعات التقليدية ، مع خوض الحملات الكبرى أو عقد المعاهدات لحفظ هذا التوجه السياسي .

والواقع فلئن كفل عدم انتظام الإقليم السوري في دولة واحدة لمصر سهولة السيطرة عليه ، إلا أنه في المقابل قد عرض تلك العلاقة للتذبذب الدائم وما اقتضاه من تدابير سياسية وعسكرية . بحيث لم يعد مستغربا قيام تلك الدويلات بنقض ولاء التبعية لمصر عند أول فرصة تسنح لها ، مهما أخذ عليها من مواثيق ومهما قدم حكامها من جزى وهدايا . كما لم يعد مستغربا كذلك أن مصر قد مدت يد العون والتحالف مع أعداء الأمس القريب كميتان وخيتا ، فضلا عن العديد من المدن السورية .

ومن شواهد هذه الفترة أنها وإن بدأت بطرح بدو سيناء وجنوب فلسطين

كعناصر مغيرة وغير مقيمة ، إلا أنه منذ عصر البرونز المتأخر ثم عصر الحديد أصبحت هذه العناصر أكثر قدرة على النزوع نحو الاستقرار . وذلك بالتحول من الرعوية المرتحلة دوما إلى المدينة المستقرة أبدا ، وهو ما تجاوزته طموحاتهم حيال مصر أغنى تلك الأقاليم وأكثرها استقرارا . بيد أن عدم قدرة النسيج السياسي المصري على استيعابها كعناصر قيادية أدى لطردها ، مثلما تم مع الهكسوس والعبرانيين . وهؤلاء الآخرون ينبغي التركيز أكثر على مواجهة ما طرحونه حاليا مواجهة علمية ، تتجاوز قضية الخروج من مصر ودواماتها اللانهائية إلى قضية تأصيل التواجد في المنطقة بحقوقها التاريخية .

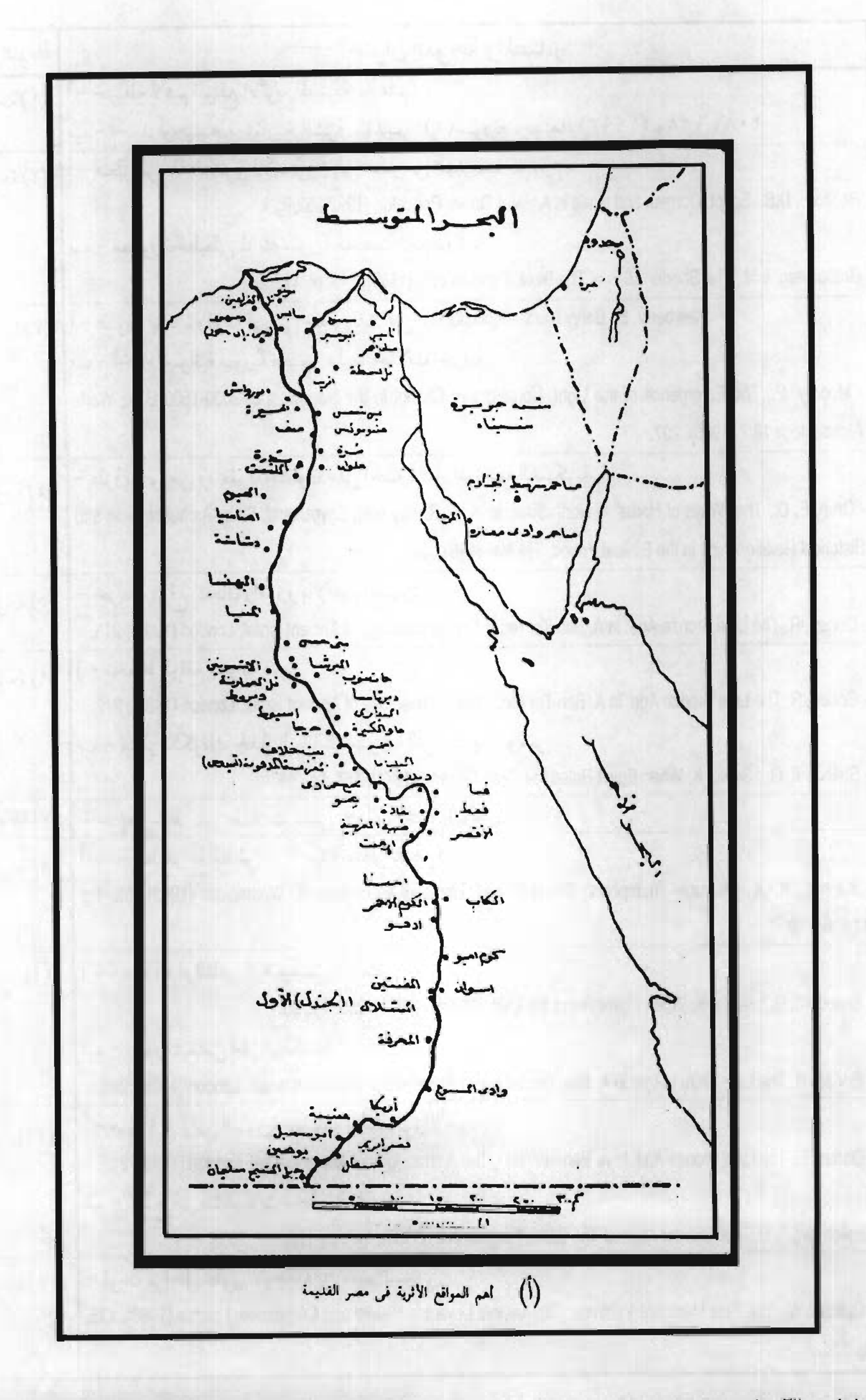
بيد أنه في مقابل هذا الرفض السياسي القيادي ، فقد استوعب المجتمع المصري كافة المتغيرات الحضارية التي طرأت عليه بحكم العلاقة الممتد عبر تاريخه مع الإقليم السوري ، بل وأمكنه التواؤم معها إلى حد تمصيرها . ساعد على ذلك استمرارية العلاقات الاقتصادية التي برغم تأثرها السلبي بالحملات العسكرية ، إلا أن التداعيات السلمية لهذه الأخيرة كانت تعجل بعودة ازدهارها لكونها الأساس في العلاقة .

وجدير بالذكر أن حجم التبادل الحضاري بين مصر وسوريا لم يقم على أساس متوازن ، وإن اتفق مع حجم وجود السوريين في مصر في مقابل قلة الوجود المصري غير الرسمي هناك . انطلاقا من مبدأ سعي المغلوب نحو الغالب ، حسب المبدأ الحضاري لابن خلدون في مقدمته . ولكون هذا العنصر المغلوب هنا يحمل تراكمات ثقافية عبر تاريخه الطويل ، فلم يجد المجتمع المصري غضاضة في الأخذ بها واستيعابها . بحيث غدت جزءا أصيلا من عناصر حضارته دينيا واجتماعيا وفنيا ولغويا ، تماما مثلما غدت معالم الحضور المصري في سوريا معلما أساسيا من معالم وجود الإقليم السوري تاريخيا وحضاريا . ولتصبح العلاقات بين الطرفين كتابا مفتوحا يمكن أن تتجلى فيه معالم إحدى أهم فترات التاريخ البشري في عصوره القديمة . ولنتأكد من دروس التاريخ أن

المصلحة المصرية بالإقليم السوري بمختلف وحداته السياسية وعبر العصور التاريخية ، توازيها تماما المصلحة السورية بمصر . من خلال امتداد جغرافي واحد يكفل لها صياغة تاريخ المنطقة على كافة الأصعدة ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

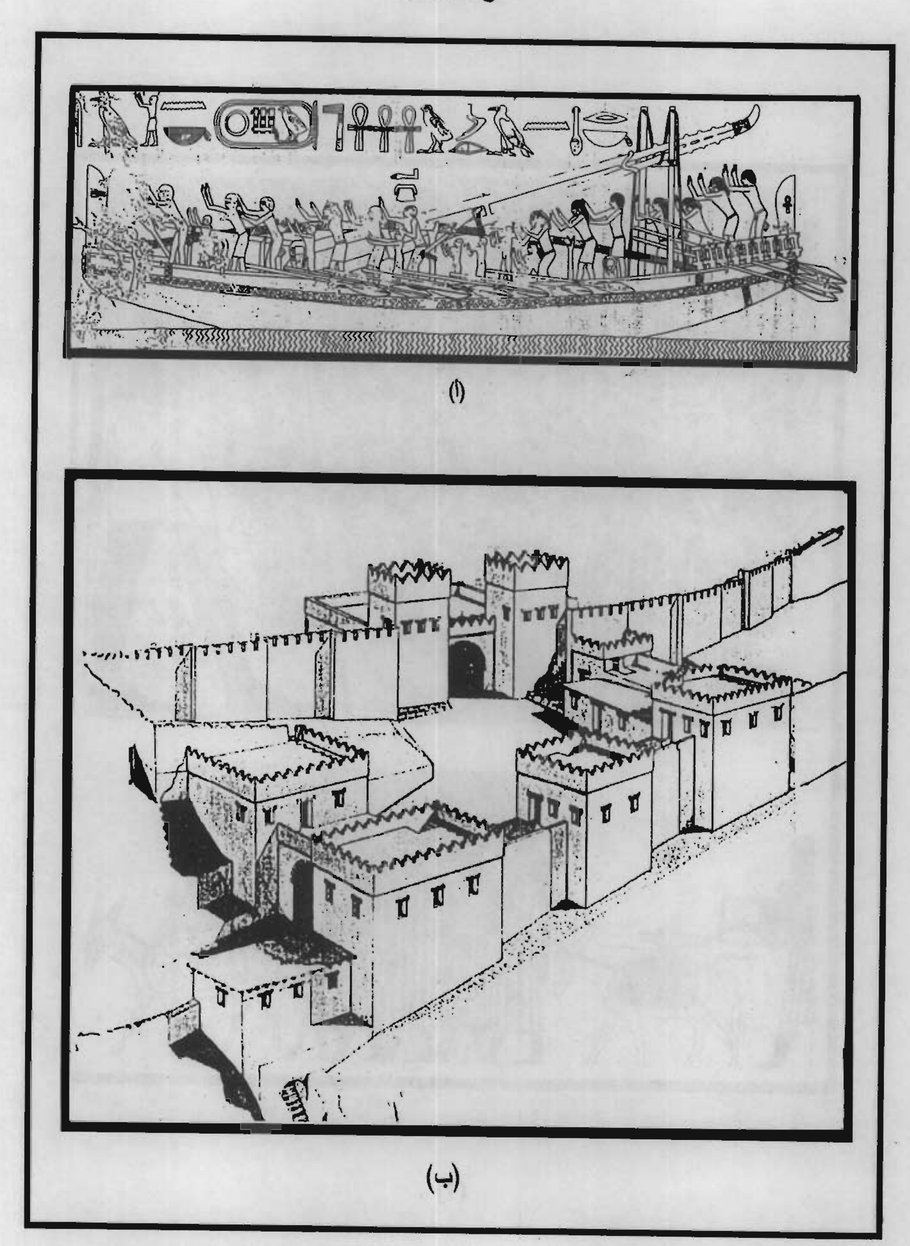
قائمة اللوحات

رقم اللوحة	عنوان اللوحة والمصدر
لوحة (١)	أ- خريطة لأهم المواقع الأثرية المصرية : (علم) . ب - أحمد أرحيم هبو : تاريخ الشرق القديم : (١) سورية ، صنعاء (١٩٩٣)، ١٢٨، ٢٠٨ .
لوحة (٢)	أ- منظر الرحلة البحرية للآسيويين إلى مصر من عهد مساحو-رع . Rediford, D.B,. Egypt, Conaan and Israle in Ancient Times, Princeton (1992), 52;fig.4. ب - مصور تخطيطي لمدينة سورية محصنة (مجدو) . Grollenverg, L H., The Shorter Atlan of The Bible, Penguin edit, (1983), 143; pl. 113.
لوحة (٣)	أ- صورة ايشا : وقومه في بني حسن نقلا عن : (Newberry, E., Benni Hassan I,pls.30-1) ب - أختام إسوانية سورية مصور عليها المجالات الحربية . - Moorey, P., The Emergence of the Light, Horse-drawn Chariot in the Near-East c. 2000-1500 B.C., World Archaeology 18/2 (1986), 207.
لوحة (٤)	- طرق حورس ومنظر للحصون على الحدود قبل المواجهة العسكرية . - Oren, E. D., The "Ways of Horus" in North Sinai, in: A. F. Rainey (ed), Egypt, Isral, Sinai: Archaeological and Historical Relationships in the Biblical Preiod, Tel-Aviv (1987), 22
لوحة (٥)	- خريطة لموقع كنعان وأمورو بالإقليم للسوري . - Gonen, R, The Late Bronze Age: in A. Ben-Tor (ed.), The Archaeology of Ancient Israel, London (1992), 215.
لوحة (٦)	أ- مخطط لمواقع معركة مجنو . - Gonen, R, The Late Bronze Age: in A. Ben-Tor (ed.), The Archaeology of Ancient Israel, London (1992), 212. ب - منظر بالكرنك لجدار النباتات السورية التي جلبها تحوتمس . - Steindorff, G.,: Seele, K, When Egypt Ruled the East, Chicago (1971), 167, fig., 46.
لوحة (٧)	- خريطة خط سير حملات سيتي الأول . (عمل الباحث)
لوحة (٨)	أ- مخطط لمواقع قادش . ب - منظر للمعركة . - Kitchen, K. A., pharaoh Triumphant: The Life and Times of Ramesses II, Warminster (1982), 52, fig. 17;57fig.,19.
لوحة (٩)	أ- حملة العام الثامن لرعميسس الثالث . - Steindorff, G.,: Seele, K, When Egypt Ruled the East, Chicago (1971), 255; fig., 99. ب - صورة لبعض الجزي الكنعانية . - Gonen, R, The Late Bronze Age: in A. Ben-Tor (ed.), The Archaeology of Ancient Israel, London (1992), 249.
لوحة (١٠)	أ- صورة للأواني السورية مختلفة الأشكال والأحجام . - Gonen, R, The Late Bronze Age: in A. Ben-Tor (ed.), The Archaeology of Ancient Israel, London (1992), 212. ب - نماذج من مشغولات مجدو العاجية . Grollenverg, L H., The Shorter Atlan of The Bible, Penguin edit, (1983), 142; pl. 112.
لوحة (١١)	- لوحة لمراحل تطور الأبجدية بالإقليم السوري . - Culican, W., The First Merchant Ventures: The Ancient Levant in History and Commerce, London (1966), 125, fig, 136.



(أ) اهم المواقع الأثرية فى مصر القديمة

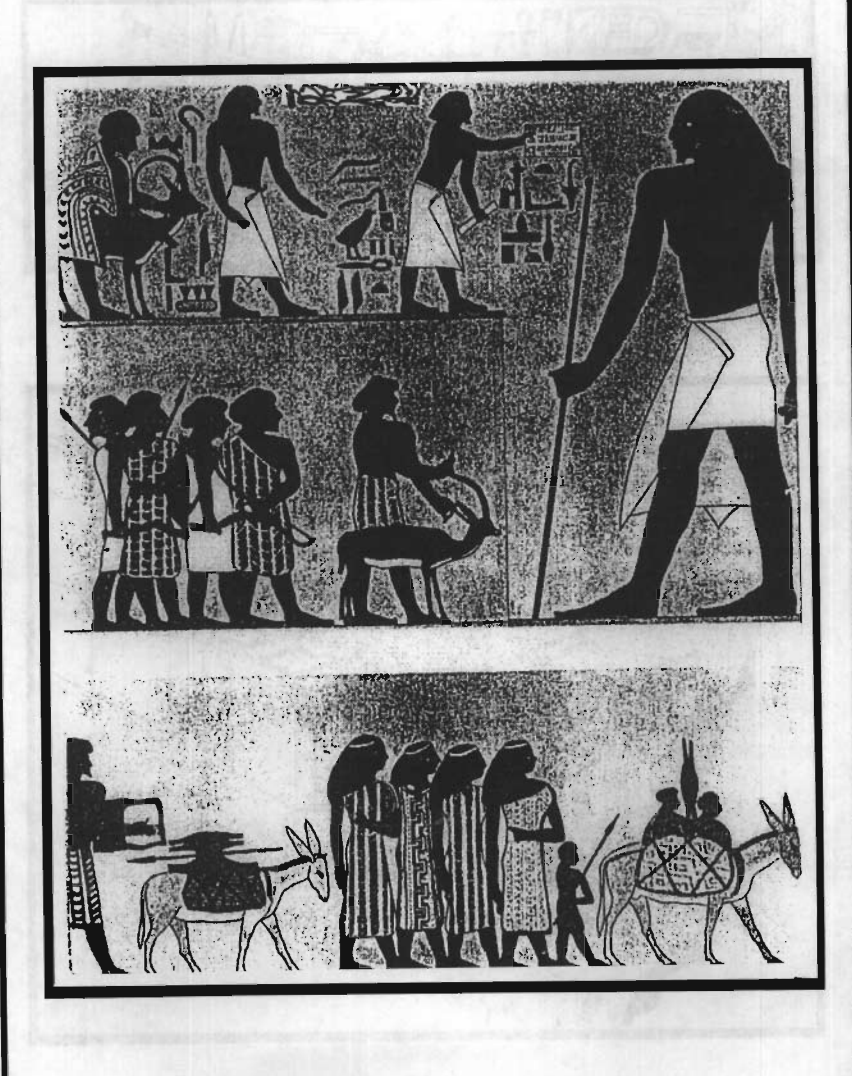
لوحة (٢)



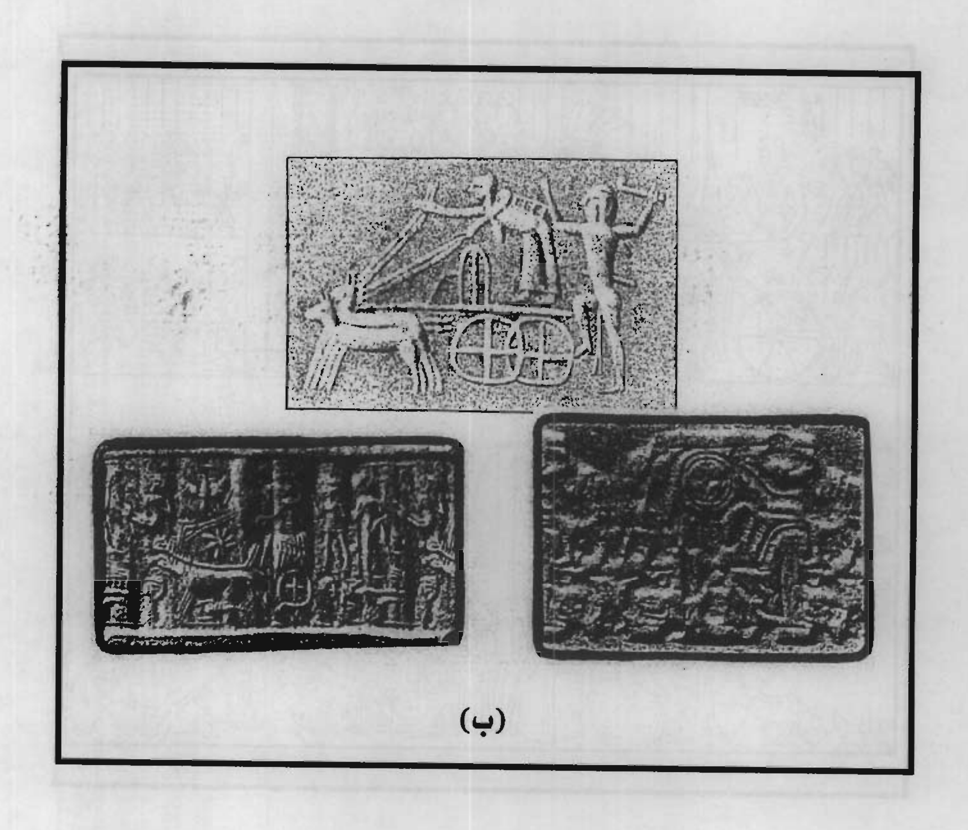
(أ)

(ب)

لوحة (٣)

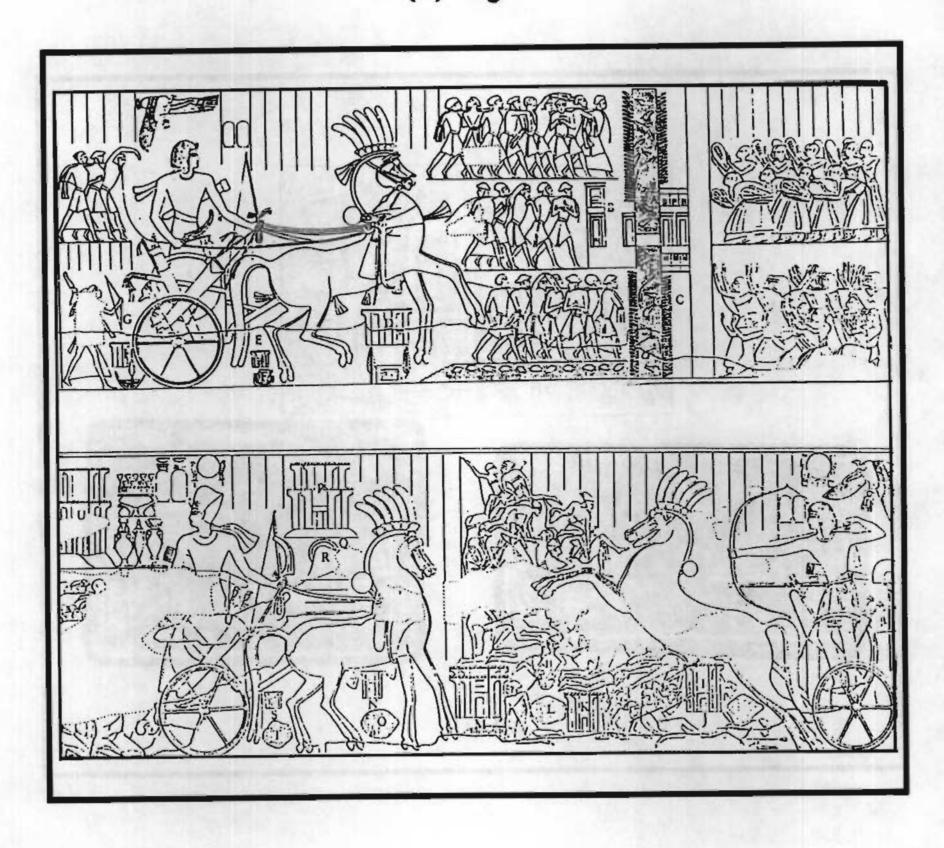


(أ)

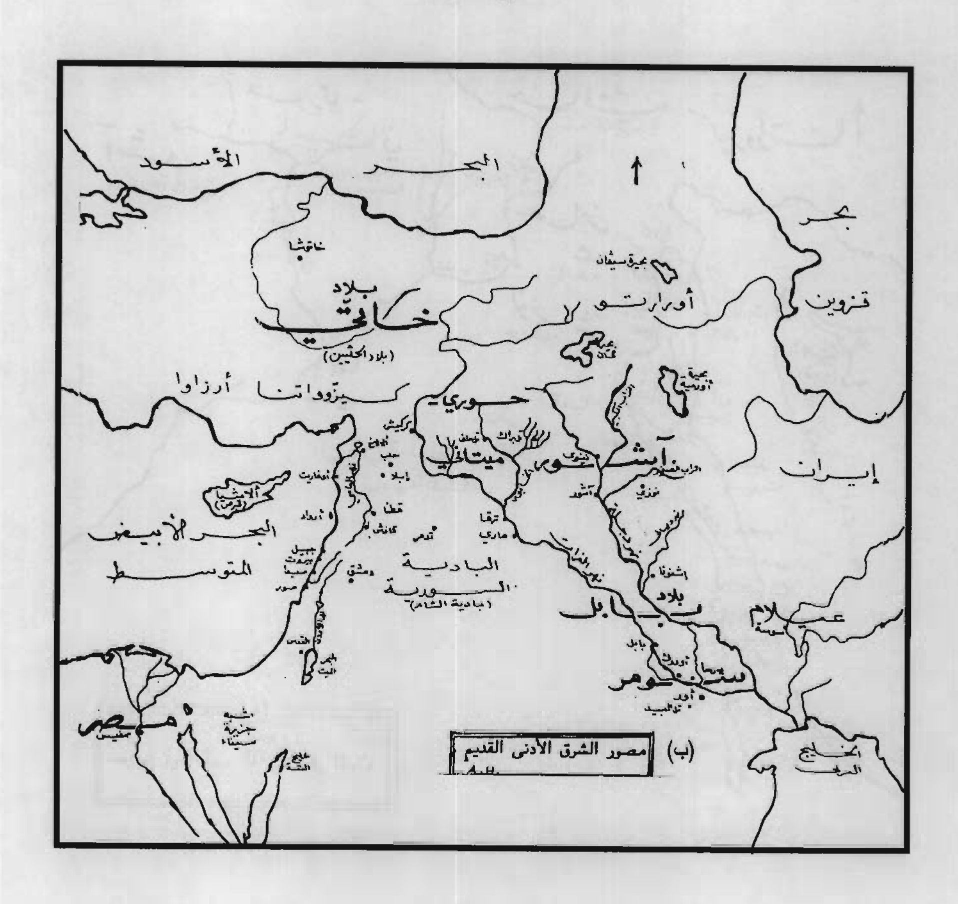


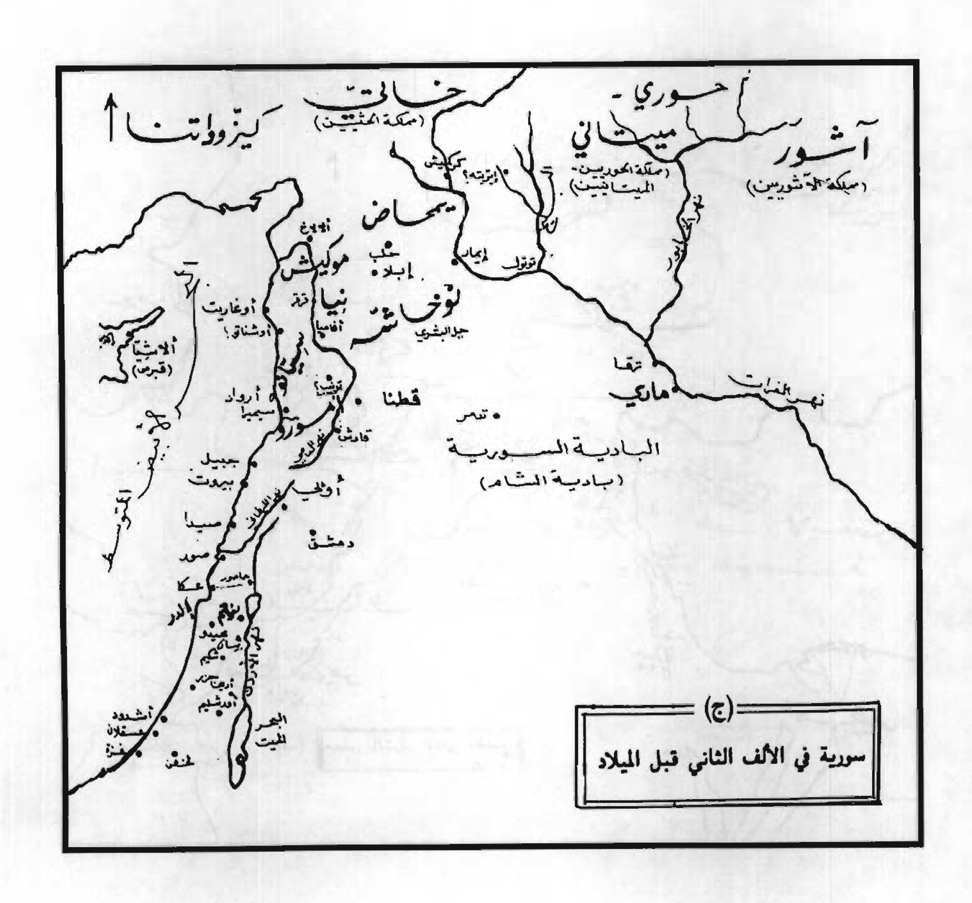
(ب)

لوحة (٤)



لوحة (٥)


البحر الأسود
بحر قزوين
بلاد خاتي
(بلاد الحثيين)
كيزوواتنا أرزاوا
أورارتو
حوري
ميتاني
آشور
إيران
البحر الأبيض المتوسط
البادية السورية
(بادية الشام)
بلاد بابل
سومر
عيلام
مصر
الخليج العربي
(ب) مصور الشرق الأدنى القديم



(ج)
سورية في الألف الثاني قبل الميلاد

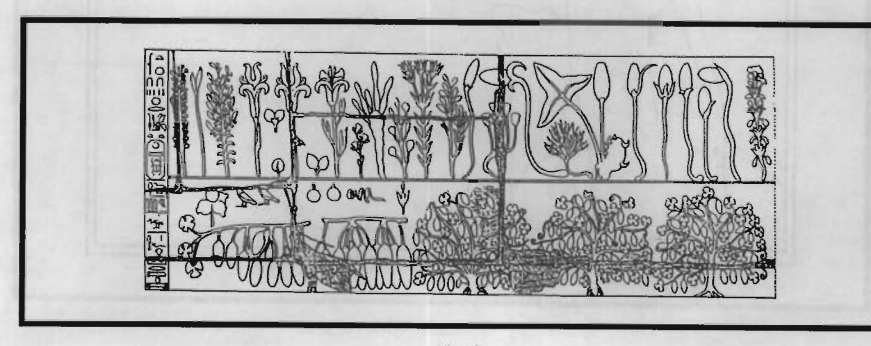
(ج)

سورية في الألف الثاني قبل الميلاد

لوحة (٦)

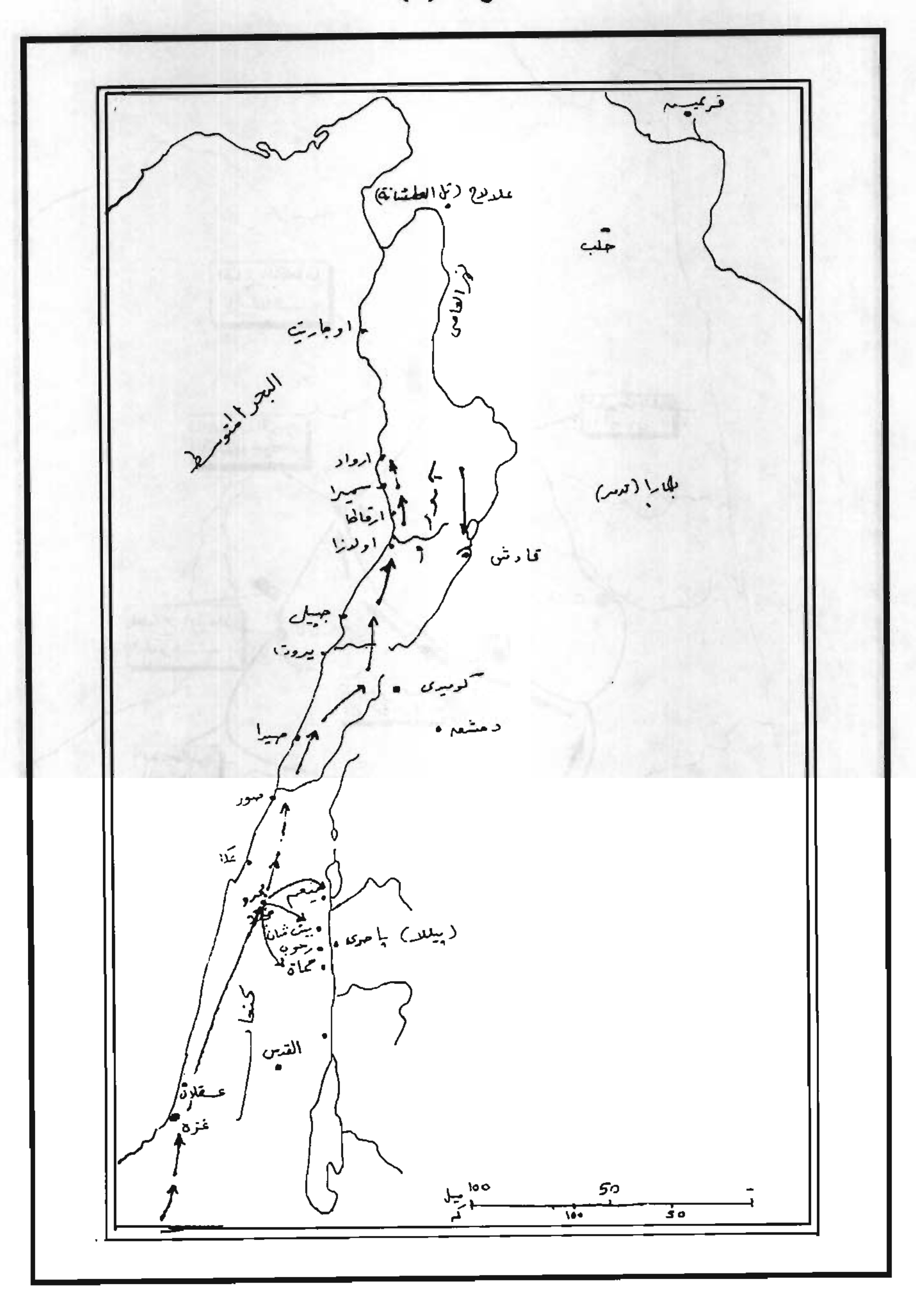
أخشاف
الجناح الكنعانى الشمالى
ينعم
الطريق الشمالى البديل
العجلات الحربية الكنعانية
مجدو
زفات
عارونا
تاعاناخ
الجناح الكنعانى الجنوبى
الطريق المختار من تحوتمس الثالث
الطريق الجنوبى البديل
موقع مجلس شورى الحرب
كم

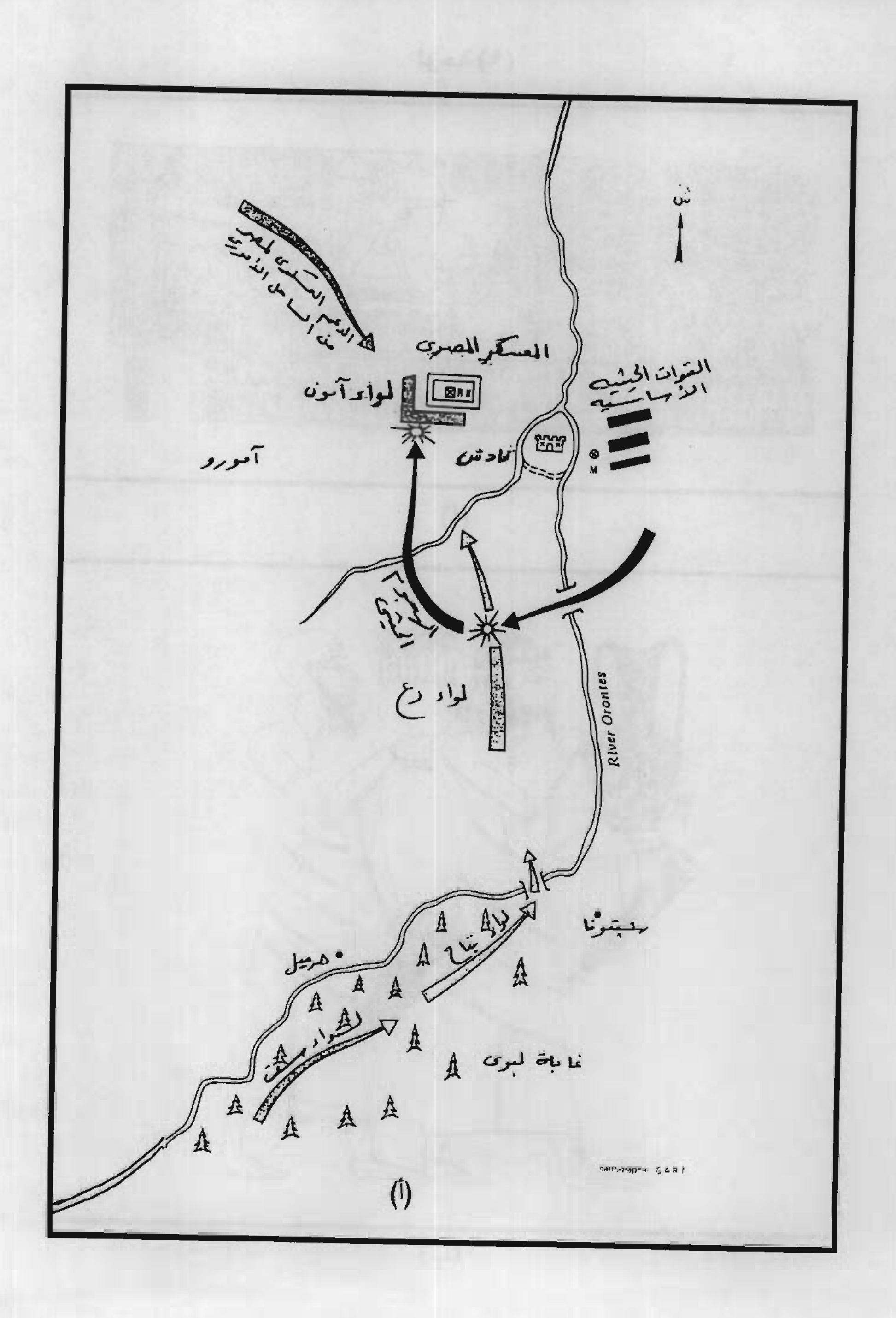
(أ)



(ب)

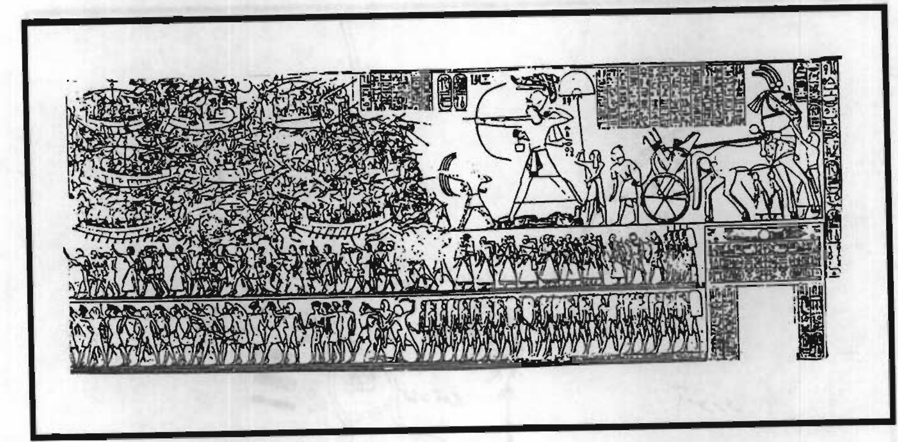
لوحة (٧)


قرقميش
علالاخ (تل العطشانة)
حلب
نهر العاصي
اوجاريت
البحر المتوسط
ارواد
سميرا
ارقاطا
اولازا
قادش
بالميرا (تدمر)
جبيل
بيروت
كوميدي
دمشق
صيدا
صور
عكا
مجدو
ينعم
بيت شان
رحوب
حماة
كنعان
القدس
عسقلان
غزة
ميل
كم

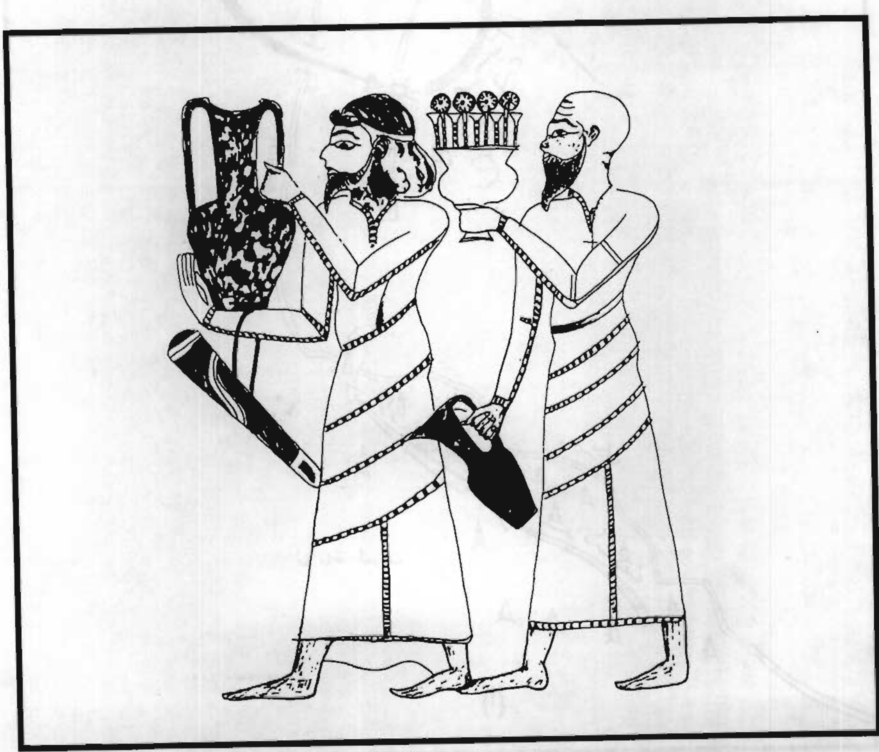

ش
الدعم العسكري المصري من الساحل الأموري
المعسكر المصري
لواء آمون
القوات الحيثية الأساسية
قادش
آمورو
M
لواء رع
River Orontes
شبتونا
هرميل
لواء بتاح
لواء ست
غابة لبوى

(أ)

لوحة (٩)

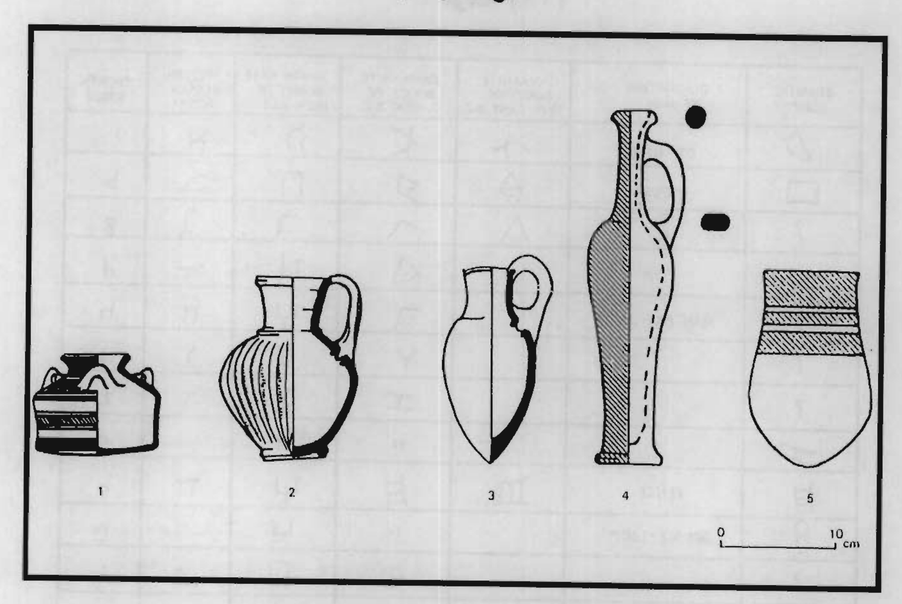


(أ)

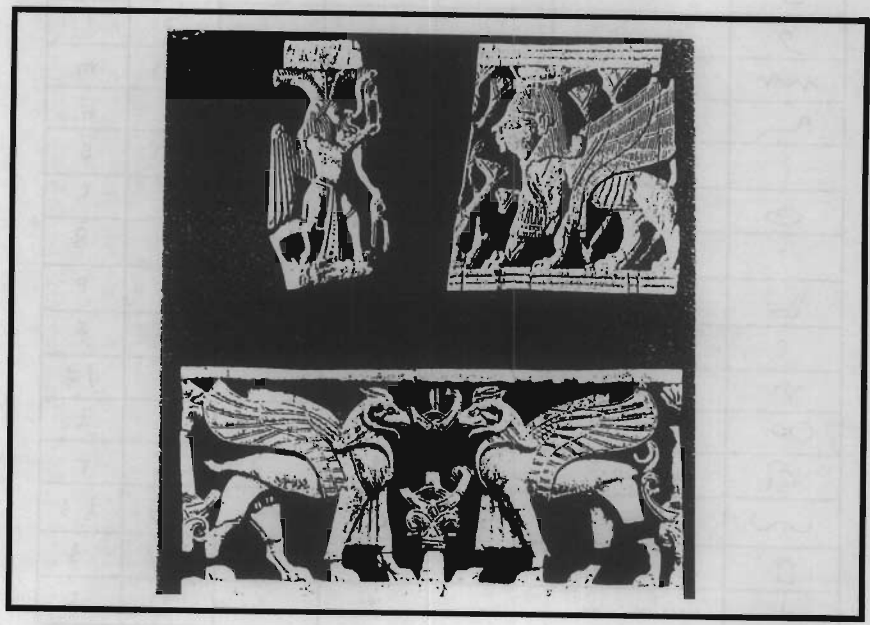


(ب)

لوحة (١٠)



(أ)



(ب)

لوحة (١١)

SINAITIC SCRIPT	DISCRIPTION OF SIGN	CANAANITE SCRIPT OF 13 th. CENT. B.C.	CANAANITE SCRIPT OF C. 1000 B.C.	SOUTH ARAB SCRIPT OF IRON AGE	MODERN HEBREW SCRIPT	PHONTIC VALUE
	OX-HEAD				א	ʾ
	HOUSE				ב	b
?					ג	g
	FISH				ד	d
	MAN PRAYING				ה	h
?					ו	w
?					ז	z
	?		"			ḏ
	FENCE				ח	ḥ
	DOUBLE-LOOP		"			ḫ
?					ט	ṭ
?					י	y
	PALM OF HAND				כ	k
	"OX-GOAD"				ל	l
	WATER				מ	m
	SERPENT				נ	n
?					ס	s
	EYE	O	O	o	ע	ʿ
?			"			ġ
	THROW STICK				פ	p
?					צ	ṣ
	BLOSSOM		"			ḍ ẓ
	?				ק	q
	HUMAN HEAD				ר	r
	BOW				ש	ṯ ś
	?		"		ש	š
+	MARK OF CROSS	+	+	X	ת	t